Majallah Al-Qism Al-Arabi
University of the Punjab,
Lahore - Pakistan.
No.17, Issue: 2010

مجلة القسم العربي
جامعة بنجاب، لاهور،باكستان.
العدد السابع عشر، 2010م.

هنـري برجسون والمعتقـدات الدينيـة
دراسـة ، تحليـل ، نقـد

د. خادم حسين إلهي بخش
أســـتاذ قـــسم الـــشريعة والدراســـات
الإسلامية
جامعـــــــــــــــة
الطائف. السعودية.

Abstract

Bergson, One of the pillars of Western civilization contemporary , where he settled denial of religious beliefs, especially the existence of Allah. He also, denied the phenomenon of revelation and that Allah's did not write the human destiny good or bad .And the day of judgment means this life .

The man tried to contradict this trend apparently and subtracting the ideas but it is hostile to lead to the conclusion that characterized that era.

My research reveals this fact and the extent of its sincerity in the service of modern humans.

المقدمـة:

الحمـد لله رب العـالمين ، والـصلاة والـسلام علـى رسـوله الأمين ، سيدنا ونبينـا محمد صـلى الله عليـه وسلم ، وعلـى آلـه وصـحابته الطيبـين الطـاهرين، ومـن سلك سـبيلهم وترسم خطـاهم ونهـج منهجهم إلـى يـوم الديـن، وبعـد:

فـإن هنـري برجـسون يُعـد أحـد الأركـان الأربعـة – كـارل مـاركس ، و سيجموند فروئـد ، وإميـل دور كـايم – للفكـر الغربـي الحديث ، الذي سطا علـى الفكر فـي العـالم الإسـلامي، وعلـى أحد هؤلاء الأربعة يبني كل من يريد نقض الثوابت الإسلاميـة ، بـل نقض الثـوابت البشريـة جمعـاء ؟.

الدراسات السابقة عن هنري برجسون

بما أن الرجل بهذا الوزن ، وإنه العمدة في هدم المتوارث بين البشر أجمعين قادني ذلك إلى دراسة فكر الرجل، دراسة علمية منهجية من كل جوانبها، فقرأت جل كتبه ، واتجهت بـالدراسة إلى كل من كتب عنه ، وعن أفكاره.

فـوجدت الباحثين تجاه أفكار برجسون فيما خَلَّفَه من أبحـاث صنفان:

الصنف الأول : باحثون نخلوا فكره من منطلقات عقلية بحتـه ، قاسوه بمن سبقه في الغرب في الفكرة ، وحكموا عليه بالابتكـار أو التفوق أو المساواة أو التدني ، دون أن يعرضـوا فكره علـى كتـاب الله أو سنة رسول الهدى صـلى الله عليـه وسلم أو السلف الصـالح الذين اهتموا بنقد الأفكار المنحرفة ، ويمثلهم البـاحثون فـي الفلسفة عمومـاً ، فـإنهم يـصلون بالرجـل وبأفكـاره عنـان الـسماء ، لا يرتضون له إلا رئاسة الفكر الفلسفي الحديث .([1])

ولا شك أن الإعجاب بالإنسان يحجب عنه كل مساوئه ، ولا يـرى فيـه إلا النمـوذج الأعلـى للاقتـداء ، بغـض النظـر عمـا قدمـه للبشر من فكر صـالح أو فكر فاسد ، فهؤلاء يعجبهم كل جديد ، حتى ولو كان سُماً قاتلاً.

الـصنف الثـاني : درس الفكـر الغربـي ، وشـعر منـه بانزعـاج ، وهؤلاء صنفان: صـنف لا يملك القدرة الكافيـة علـى نخـل الأفكـار وغربلتهـا ، مـن حيـث الـصحة والفساد ، لـذلك لـم يـصل إلـى النقد المطلوب ، ولا استطاع تقديم البديل المفيد للبشر. (2)

فلديه الدرايـة الكافيـة بـالفكر الغربـي العـام ، ولكنـه لـم يطلـع على الفكر الخاص الذي يريد نقده ، فجاء نقده مبهماً ، غير واضح المعـالِم ، ولـم يمنـع نفسه مـن أن ينقـل نقـد غيـره بحروفـه وجُمَلِـه وينسبه إلى نفسه ، دون الإشارة إلى المصدر الذي نقل عنه.

ولا شك أن هذا الصنف أكثر واقعية من الصنف الأول ، فقد أقلقه الواقع الذي يعيشه المفكرون الإسلاميون ، لاسيما الجامعيون ومـن يعلـوهم ، يريـد إعـادة الأمـة إلـى مـصادرها الأساسية عقيـدة وفكـراً ، تـشريعاً وعمـلاً ، فمـن هـؤلاء الـشيخ عبـدالرحمن حبنكـة الميـداني فـي كتابـه الـشهير كواشـف زيـوف ، فقـد لخـص فكـر برجسون فقـال:(ثنـائي فـي فلسفته ، يـرى أن فـي العـالم اتجـاهين متعارضـين، همـا الحيـاة والمـادة ، فالحيـاة تـصعد وتخلـق وتجاهد خلال المادة ، وتسمو عليها بالزيادة في الخصوبة ودقة التركيب ، أما المادة فمثقلة هابطة مقيدة ، إلى غير ذلك من الآراء).(3)

وصنف أهمل ذكر برجسون رغم كتاباته الكثيرة في نقد الفكر الغربي الحديث ، كالشيخ محمد قطب في كتابه العالمي الشهير (مذاهب فكرية معاصرة) بل في سائر كتبه، والدكتور محمود محمد مزروعة في كتابه (مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد).

ويبدو أن جامعات المملكة العربية السعودية أدركت ثقل الرجل الفكري فأدرجته ضمن مفردات مناهجها في مواد العقيدة الإسلامية فلا تخلو مادة (مذاهب فكرية معاصرة) في جامعة الملك عبد العزيز وجامعة أم القرى وجامعة الطائف – حسب علمي – من دراسة برجسون من حيث تطور الحياة والإنسان ، أو تطور الأخلاق ، أو تطور المعتقدات الدينية.

سبب اختيار الموضوع

بما أن الرجل جزء من مقرر الجامعات المتعددة ، ويقوم بتدريسه أساتذة أكفاء إلا أنهم لا يملكون مصدراً وافياً يحيط بفكر الرجل من جوانب عقدية يتبنى عرضه على كتاب الله وسنة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم من الوجهة العقيدية الإسلامية.

لذا وقع اختياري على دراسة فكره فيما يخص المعتقدات الدينية التي تعد بمثابة القاسم المشترك بين الأديان الإلهية كلها وعنونت بحثي عنه ب (هنري برجسون والمعتقدات الدينية، دراسة ، تحليل ، نقد) وحاولت فيه دراسة فكر الرجل دراسة

معوقات العمل في البحث

من فطرة الإنسان أنـه يقلد غيره – والاقتداء بسيد المرسلين جزء من هذه الفطرة – فكنت أتمنى أن أجد دراسة أو دراسات تأخذ بيدي في هذا العمل الشاق ، إلا أني لم أعثر على شيء من ذلك.

ويزداد هذا المعوق ثقلاً حين أنظر إليه من منظور النقد في ضوء الكتاب والسنة وأقوال السلف ، ومن هنا تمنيت أن أكون مسبوقاً بغيري بـه، خوفاً من الخطأ وعدم سلوك الجادة المطلوبة.

وكان المعوق الثاني أن برجسون يعرض الآراء المختلفة لغيره ويدرج رأيه باقتضاب ضمن تلك الآراء دون أن ينسبه إلى نفسه ، وربما أدرج رأيين متعارضين في مكانين مختلفين من مؤَلَّفاته فيصعب الجزم برأيه الأخير ، ويقتضي ذلك تعيين مُؤَلَّفِه السابق من اللاحق ، ويزداد الأمر صعوبة إذا كان المؤلف هو الطبعة الثانية وفيه زيادات عن الأولى.

وكان المعوق الأخير أن البحث بِكْرٌ في ولادته غير مطروق ، فلو كان مطروقا لاستأنست برأيٍ سُبقت إليه ، أو كان مرآة للوم

فاستخرت الله وشمرت عن ساعد الجد ، وتجرأت في طرقه وأعانني الله على ذلك وأمكنني من تحديد آراء الرجل ، وغَرْبَلَتِهَا ومناقشتها مناقشة علمية في ضوء الكتاب والسنة والعقل ، فجاء البحث في هذه الصورة المتواضعة ، أسأل الله له القبول يوم لا ينفع مال ولا بنون .

خطة البحث

جاء بحثي هذا (هنري برجسون والمعتقدات الدينية دراسة ، تحليل ، نقد) مشتملاً على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة .

المقدمة

حددت فيها مكانة برجسون في تشكيل الفكر الجديد ، وذكرت الدراسات السابقة عن الرجل ، من مادحة تبلغ به عنان السماء ، ومبهمة لا تسمن ولا تغني من جوع ، وممتنعة لا أعرف أسبابها.

وأردفت ذلك ببيان اختيار الموضوع ، من أن العديد من الجامعات تدرس فكره وتنقده ، ألا أنه لا يوجد مصدر واف يغطي هذا الجانب ، فأتقدم بهذه الدراسة لتسديد هذه الثغرة في مفردات العقيدة الإسلامية.

وكان من معوقات العمل في هذا البحث عدم وجود دراسات سابقة تنطلق من الكتاب والسنة وأقوال السلف ، لذا كان بحثي هذا بكراً في ميدانه ، تمنيت أن أكون مسبوقاً بغيري به، خوفاً من الخطأ وعدم توفيته جميع أجزائه، إلا أني تجرأت في طرقه ليكون مصدراً بين يدي الأستاذ في نقد الفكر البرجسوني . وجاء:

المبحث الأول : (برجسون حياته وعصره) يتحدث عن ولادته ، ونشأته العلمية ، وعمله ، و مكانته بين أقرانه ، ومؤلفاته ، وأسلوبه في أبحاثه ، ولمحة موجزة تصف العصر الذي عاش فيه برجسون وأبرز ما تميز به ذلك العصر ، من حصر العلم والمعرفة في التجربة والمعمل الماديين ، وإنكار المعرفة التي لا تدخل أنبوب المعمل . واشتمل:

المبحث الثاني:

(هنري برجسون ومعتقدات الدين الساكن) وذكرت فيه تعريف العقيدة، ومنبع المعتقدات في الدين الساكن ، من أنها رد فعل دفاعي تقوم به الطبيعة مقاومة لهدم ينبع من العقل ، ونفي النبوة ، ونفي نزول الوحي، ونفي التقدير الإلهي للأشياء قبل وجودها ، وأن الشرك ينحصر في عبادة الأرواح، وأن الطبيعة هي التي تحي وتميت ، وأن يوم القيامة لا وجود له وانهماك الناس في الملذات خير دليل على نفي وجوده ، ونفي نعيم الآخرة وعذابها.

ناقشت كل هذه المعتقدات في ضوء أدلة الكتاب والسنة والعقل ، وبينت بطلانها . وأتممت المباحث ب :

المبحث الثالث : (هنري برجسون وعقيدة وجود الله) فعرفت كلمة الله، وإنها علم على الإله الحق المعبود المطاع ، ثم ذكرت عقيدة وجود الله عند برجسون ، وأنها إنتاج للوظيفة الخرافية من الوهم الإرادي لدى الإنسان ، وأن تعدد الإلهة راجع إلى إرادة الإنسان نفسه فإن شاء وسعها حتى تبلغ الآلاف وإن شاء حصرها في أضيق عدد ممكن ، وإن تعددها هو الحضارة بعينها .

وناقشت كل ذلك مناقشة علمية منهجية بأدلة الكتاب والسنة والعقل ، من أن البشرية تسير في خطين متوازيين لا يلتقيان أبداً ، خط التوحيد وخط الانحراف ، وإن برجسون أبرز الخط الأخير من مصادر التاريخ البشري وحضاراته المختلفة وأخفى هذا الخط عن قصد حتى يستقيم له ما يريد الوصول إليه .

وتضمنت مناقشتي ذكر بعض أسماء الله التي فيها الدليل القاطع على أن المسير لأحداث الكون هو الله ، وأنه القادر والواهب والخبير بشؤون خلقه ، وأن الشرك صورة من صور الانحراف البشري ، أرسل الله رسله لبيان حقيقته، واستدللت على ذلك بقصص القرآن الكريم ، وأن الله بعث أنبياءه إلى الضالين ممن انحرف عن جادة التوحيد إلى جادة الشرك.

فذكرت قوم نوح وانحرافهم ، وعاد وانحرافهم ، وثمود وانحرافهم ، وقوم إلياس وانحرافهم ، وفرعون وادعاءه الألوهية ومناقشة القرآن له ، وانحراف العرب وشركهم بالله.

كمـا نـاقشت إثبـات الإلـه بالتجربـة ، وذكـرت أن حياتنـا مليئـة بحقـائق لا يمكـن إثباتهـا بالتجربـة ، كحقيقـة المـوت وحقيقـة الحيـاة وحقيقــة الــروح ... ، وإن آلات التجــارب صــنعت لعــالم مــادي محسوس ، فمـا كـان من غيـر هذا العـالم لا يمكـن إجـراء التجربـة عليه بهذه الآلات .

وأنهيت هذا المبحث بمناقشة قول برجسون من أن المجتمع هـو الموجـد لإلـه وهمـي لحمايـة المحظـورات الاجتماعيـة ، وأن المجتمعات قد ارتقت فلا داعي لبقاء هذا الوهم ، وإن إثبـات وجـود الإله الآن ترف يجب على البشر الاستغناء عنه .

وقبـل الختـام أرجـو المعذرة عـن الإحـالات التـي وضـعت فـي آخر البحث - فإني مضطر على حد المثل - مكره أخـاك لا بطـل – لأن المجـلات العلميـة المحكمـة فـي باكـستان لا تقبـل الأبحـاث إلا بهذه الصورة ، علماً أني لا أحب ذلك، وأحبذ وضـع الإحـالات فـي آخر الصفحة التي فيها الإحالة ، حتى تسهل مراجعتها . وكانت :

الخاتمة : متضمنة لأهم النتائج التي توصلت إليها خـلال هذه البضاعة المزجاة ، وأرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفيت البحث بما يستحقه من العناية والاهتمام ، فمـا كـان صـواباً فمن الله ، وما كان غير ذلك فمني ومن الشيطان ، وعزائي أني فتحت باباً للبـاحثين لغربلـة الأفكـار المنحرفـة الوافدة مـن الغـرب فـي ضـوء الكتاب والسنة وأقوال سلفنا الصالح رحمهم الله وسدد خطـاهم فيمـا فيه مرضاته.

وعلى الله قصد السبيل ، و به أستعين .

المبحث الأول : برجسون حياته وعصره

1- ولادته وطفولته

تتفق المصادر التي بحثت عن حياة هنري برجسون أنه وُلِد في حي بسكال في باريس بفرنسا في 18 أكتوبر 1859م من أبوين يهوديين، حَمَل والده الجنسية الفرنسية بالاتفاق. في حين تنسب بعضُ المصادر جنسية أمه إلي الإنجليز، ويقوي هذا التوجه مكثها الطويل في أيرلندا، وتَلَقِّيْهَا تربية إنجليزية (4)

ولد برجسون في جو استقر فيه إنكار وجود الله ، من الباحثين والمكتشفين لسنن الله في الكون (العلوم الطبيعية) ، وذلك لمعاداةِ الكنيسة للعلم المادي وللعلماء المكتشفين للسنن الإلهية ، التي يُسَيِّرُ الله بها الكون.

ويعود هذا العداء الذي ورثه برجسون إلى ما قبل ولادته بثلاثة قرون، حين قال كوبر نيكوس(5) وجردانوبرونو(6) وجاليليو(7) بكروية الأرض، فاستنتاجهم العلمي هز الكنيسة هزاً ، إذا وجدت نتائج ما توصل إليه الثلاثة يعارض ما تدين به الكنيسة . في ضوء نصوص التوراة التي بين أيديهم ، فإنها تقول باستواء

2. نشأته العلمية

تلقـى برجـسون تعليمـه الأوَّلِـى فـي مدرسـة ليـسيه كوندرسـيه ، فمـا أن أتـم تعليمـه التأسيـسي حتـى التحـق بمعهـد المعلمـين العـالي، وكانـت علامـات النبـوغ العلمـي قـد ظهـرت علـى نتائجـه التحـصيلية، ولاسـيما فـي الرياضـيات والعلـوم الكونيـة ، فقـد فـاز بجـائزة الرياضـيات لمجلـة حوليـات الرياضة سنة 1877م .([9])

ويبـدو أن المعهـد بطـرف خفـي وَجَّـه برجـسون إلـى تلقـى العلـوم الأدبيـة ، رغـم ميولـه الفطريـة إلـى الرياضـيات والعلـوم ، لقدرتـه الفائقـة علـى التحليـل وتوجيـه المظـاهر المختلفـة،حتى تنـسجم مـع التوجـه العـام الـذي يُـسَيِّرُ الحيـاة الأوربية كلها.

هـذا وقـد نـال برجـسون شـهادة معهـد المعلمـين (اجرجاسـيون) عـام 1881م ، وأهلتـه هـذه الـشهادة إلـى أن يـدلي بـدَلوه فـي القـضايا الفلـسفية المعاصـرة ، كقـضية الزمـان والمكان والاستمرار (الدوام اللانهائي) .([10])

3- عمله

مـا أن تخـرج برجـسون فـي معهـد المعلمـين عـام 1881م ،

، (Angers)

وبدأت شهرته تتعدى فرنسا، ولِنَيْله الترقية عام 1883م نقل إلى ليسيه كليرمون Clermont-Ferrand .

وظل الرجل يرتقي في سلم العلم درجة درجة حتى نال درجة الدكتوراه ، من جامعة السوربون عام 1889م ، وكان عنوان رسالته (رسالة في معطيات الشعور المباشرة) ، وأضاف إليها رسالة فرعية عَنْوَنَهَا ب (فكرة المحل عند أرسطو) بين فيها سقطات أرسطو بأدلة نفسية . وقد عادت عليه الرسالتان بصِيتٍ عَمَّ فرنسا كلها . وبدأت الأنظار تتجه إليه في الأوساط الجامعية ، وكان للصحافة الفرنسية الدور الأكبر في إبراز شخصيته .([11])

لم يحل التدريس بين برجسون وبين مواصلة البحث ، فجاءت باكورة إنتاجه باسم (حريتنا البشرية وصلتها بالآلية الكونية)،ويعني بذلك:هل البشر مخيرون أو مسيرون في أعمالهم في الحياة العاجلة؟ وأتبعها في سنة 1897م ببحثٍ أخذ من وقته أكثر من خمس سنوات ، ووَسَمَه باسم (المادة والذاكرة). (12)

4 - مكانته بين أقرانه ومناصبه

انتخِب برجسون سنة 1901م عضواً بأكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية ب College de France ، ثم عضواً بالأكاديمية الفرنسية، مكافأةً له على جهوده في خدمة العلم

أضـف إلـى ذلـك أن الرجـل شـارك فـي الـدفاع عـن بلـده - فرنـسا - فـي الحـرب العالميـة الأولـى،حين لَبَّـى دعـوة حكومتـه بالقيـام بمهمـة رسـمية فـي أسـبانيا وأميريكـا، أمـلاً فـي بـذل الجهـود العالميـة فـي إعـادة الـسِلْم إلـى بـلاده أولاً ، وإلـى العـالم ثانياً.

ومـا أن وضـعت الحـرب أوزارهـا سـنة 1918م ، وتألفـت جمعيـة الأمـم، وتكونـت لِجَانُهـا المتعـددة ، حتـى عُـرِضَ الأمـرُ علـى برجـسون فـي سـنة 1919م ليـرأس لجنـة التعـاون الفكـري التابعـة لهـا ، فبـادر بإجابـة الطلـب ، فـأدار جلـساتها المتكـررة بحنكـة وبـصيرة ، وظـل فـي هـذا المنـصب حتـى سـنة 1925م ،فأجبرتـه صـحته علـى التنـازل عـن رئاسـة هـذه اللجنـة ، ولعـل جـائزة نوبـل فـي الآداب التـي نالهـا سـنة 1928م أدخلـت إليـه بعـض الـسلوان ، ورفعـت عنـه كـابوس المـرض - ولـو لـبعض الوقت - الذي ألزمه الفراش .(13)

5- مؤلفاته

يجـزم البـاحثون أن أول مؤلفـات برجـسون الرئيـسة ظهـر علـى المـلأ جـاء تحـت عنـوان (الزمـان والإرادة الحـرة) ، وقـد نـاقش فيـه فكـرة الزمـان والمكـان وصِـلتهُما بـدوام الحيـاة

وظهر كتابه (المادة والذاكرة) سنة 1897م ، وحاول فيه برجسون الجمع بين حرية العمل الذي يقوم به الإنسان وبين الآلية الكونية التي تَسِيْرُ عليها المادة ، ويبدو من كتابه (الضحك) المختص بالهزل والهزء ، أنه جاء كرد فعل لرفض الجمهور أسلوبه المعقد ، فقدم كتابه الضحك سنة 1904م ، وحلل فيه ظاهرة الضحك ، وبين أسبابها والعوامل التي تَكْمُنُ وراء هذا الانفعال ، وتقدم إلى الجمهور بما يتناسب مع عقليته (14) .

وظهر كتابه (التطور الخالق) الذي أكسبه المكانة العالمية بين العامة والعلماء سنة 1907م ، وحاول فيه حل مشكلة الحياة ، وبداية ظهورها، والمراحل التي مرتْ بها، حتى استقرت على ما هي عليه الآن، ولاقى كلامه في هذا الكتاب صدى في النفوس الممتلئة غيظاً ضد الكنيسة، فنال الشهرة المطلوبة (15) .

ومما زاد في شهرته أن الكنيسة الكاثوليكية أدرجت كتب برجسون ضمن قائمة الكتب الممنوعة كَنسياً ، وفي سنة 1914م حرمت قراءة كتاب التطور الخالق ؛ لأنه يقود - في رأيها - إلى الإلحاد و إنكار الخَلْق المباشر من الله عزوجل .

وظهر كتابه (معني الحرب) سنة 1915م ، وذلك عقب

أمـا كتابـه الطاقـة الروحيـة فهـو عبـارة عـن محاضـرات ألقاهـا فـي العديـد مـن الجمعيـات والجامعـات ، وأبحـاثٍ نـشرها فـي العديـد مـن الـدوريات ، وبحـوث شـارك بهـا فـي بعـض الندوات .([16])

ويبـدو مـن تـصدير الكتـاب بمحاضـرة هُوكـسلِي التـي ألقاهـا فـي جامعـة برمنجهـام ، فـي 29 مـايو 1911م ولاؤه التـام لمـنهج ذلـك العـصر ، الـذي جـزم بـأن الله لـم يخلـق الخلـق بجميـع فئاتـه ، وإنمـا جـاء الخلـق عـن طريـق التطـور، فـي فترات متلاحقة امتدت إلى ملايين السنين ([17]) .

وجـاء أشـهر كتبـه (منبعـا الأخـلاق والـدين) الـذي ظهـر علـى المـلأ سـنة 1932م ، ليـضع خـتم الاعتمـاد علـى المـنهج الـذي سـعى برجـسون إلـى بثـه بـين النـاس ، بعُلَـبٍ مختلفـةِ الألـوان والأذواق . إلا أنهـا جميعـاً تهـدف إلـى شـيءٍ واحـدٍ ، وهـو الـذي تـراه فـي هـذا البحـث وغيـره ممـا كتبتـه عـن برجسون وفكره .

6- أسلوبه في أبحاثه

يعد العلماء هنري برجسون من المكثرين في الكتابة ، يملك خيالاً خِصباً وقدرة على التحليل قَلَّ ما أُعْطِيَ غيره مثلها ، فبحثه عن (المادة والذاكرة) خير مثالٍ على ذلك ، يتمتع الرجل بسعة الاطلاع على الحضارات القديمة ، كالحضارة الهندوسية والفرعونية والبوذية والكنفوشية...

ويمتاز فكره بأمور أهمها :

كثرة التكرار، و لربما كرر المعنى الواحد في الصفحة الواحدة ، ولا شك أن ذلك غير محمود في الأبحاث والمقالات العلمية.

يسعى كل باحث أن يقدم المعلومة إلى القارئ بصيغة الجزم دون تردد، إلا أن ذلك شبه مفقود في أبحاث برجسون .

يحترم برجسون الرأي المخالف ويلتزم الأدب عند نقده ، وما رأيت له جملة جرح بها شعور غيره ، ونقده في الأعم الأغلب للبناء وإتمام النظرية لا للنقد فحسب ، لذلك نال إعجاب أعدائه قبل أصدقائه.

أسلوبه في عرض القضايا الفلسفية اليونانية غامض غموض اليونان، لا يستطيع القارئ العادي أن ينال منه بغيته ، وما كتبه في قضايا علم النفس أيسر منالاً ، يستطيع القارئ نيل المطلوب بجهد يسير، أما ما كتبه عن القضايا

لـم يرفـع برجـسون قلمـه للكتابـة فـي موضـوع إلا بعـد أن اطلـع علـى كـل جزئيـة مـن جزئياتـه المتاحـة ، وربمـا اسـتغرق منـه ذلـك عقـداً مـن عمـره ، لـذلك تجـده يتحـدث فـي العمـق والأساسيات ، وكتابه (التطور الخالق) خير مثالٍ لذلك .

7- وفاتـه

عُمِّـرَ برجـسون طـويلاً ، فقـد لَبَّـى داعـي الأجـل فـي 4 ينـاير سـنة 1941م ، وكـان عمـره آنـذاك إحـدى وثمـانين سـنة ، وتختلـف الروايـات فـي الديانـة التـي مـات عليهـا ، فمـن قائـل بموتـه علـى الإلحـاد ونكـران الإلـه ، وقائـل بموتـه علـى النصرانية الكاثوليكية .

ويبـدو مـن تتبـع الملابـسات أن موتـه كـان علـى الديانـة النـصرانية الكاثوليكيـة ، رغـم سـعيه الحثيـث فـي العقـود الـستة الأخيرة من عمره على نشر الإلحاد .([18])

8- عصر برجسون

يُعَـدُّ العـصر الـذي عـاش فيـه برجـسون نهايـة الـصراع بـين العلـوم التجريبيـة والعلـوم المنزلـة مـن عنـد الله عـز وجـل ، فـي الكتـب الإلهيـة الممثلـة فـي الكنيـسة ورجالهـا فـي الغـرب

9- مميزات عصر برجسون

يمكن حصر مميزات هذا العصر فيما يلي :

حصر العِلم والمعرفة في التجربة والمعمل الماديين .

إنكار المعلومات التي لا تدخل في أنبوب المعمل .

فصل الدين عن الحياة ، وانتشار العلمانية بين جميع طبقات الشعب، وفقدان الكنيسة مصدرية توجيه الناس لممارسة أعمال الحياة اليومية .

انحصرت أعمال رجال الكنيسة في إقامة طقوس يوم الأحد .

إنكار المعتقدات الغيبية بجميع صورها وأشكالها ، بدءاً من وجود الله عز وجل و انتهاءً بوجود يوم العرض والحساب والجنة والنار، ومن يثبتها منهم يحاول إثباتها في هذه الحياة العاجلة، في صور يمكن قبولها عقلاً.

تقديم أراء ومقترحات قد تصل إلى درجة الخَبَال ، تحت شعار العلم التجريبي، الذي سيتطور لاحقاً ، فَيَصِل في رأيه إلى تلك الغاية المُتَخَيَّلَةِ المنشودة ، كتطور حياة الإنسان لتصبح دائمة خالدة ، فينتفي الموت إلى الأبد ، وناقشت ذلك

استـسلام الكنيـسة وقبـول الانهـزام العـام أمـام العلـم المـادي ومـن يرتـدي رداءه . توجيـه المراكـز العلميـة والعلمـاء البـارزين مـن قبـل اليهوديـة العالميـة ، التـي تتبنـى خطـة نـزع فكـرة الله مـن عقـول غيـر اليهـود ، تحقيقاً للمبـدأ الـذي نـصت عليـه فـي برتوكـولات حكمـاء صـهيون (لـو أن الحريـة كانـت مؤسـسة علـى العقيـدة وخـشية الله وعلـى الأخـوة والإنـسانية.... ، إن النـاس المحكـومين بمثـل هـذا الإيمـان، سـيكونون موضـوعين تحـت حمايـة كنائـسهم (هيئـاتهم الدينيـة) وسيعيـشون فـي هـدوء واطمئنـان وثقـة ، تحـت إرشـاد أئمـتهم الـروحيين ، وسيخـضعون لمـشيئة الله علـى الأرض ، **وهـذا هـو الـسبب الـذي يحـتم علينـا أن ننـزع فكـرة الله ذاتهـا مـن عقـول المـسيحيين** ، وأن نـضع مكانهـا عمليـات حـسابية وضرورات مادية) (19) .

إنـشاء نظريـات باسـم العلـم تنـاقض المـوروث الكنـسي - بغـض النظـر عـن صـحتها أو فـسادها - ، وتَحُـل محلـه ، لـسد الفـراغ الـذي أحدثـه الـنقض، تقـول بروتوكـولات حكمـاء صـهيون: (لاحظـوا هنـا أن نجـاح دارون ومـاركس ونيتـشه قـد رتبنـاه مـن قبـل ، والأثـر غيـر الأخلاقـي لاتجاهـات هـذه العلـوم فـي الفكـر الأممـي (غيـر اليهـودي) سـيكون واضـحاً لنـا على التأكيد) (20).

10- كانت الصحافة هي التي تمسك أزمة التوجيه والإرشاد ، بعد أن سلبته من الكنيسة ورجالها ، من الرهبان والقساوسة ، وقد تمكن اليهود من الوصول إلى كرسي رئاستها ، بالتأسيس للصحف الجديدة حيناً ، وبشراء المشتهر منها أحياناً أخرى ، وما تزال كذلك حتى هذا اليوم ، وازداد الوضع سوءاً بتعدد وسائل الإعلام : من الراديو والشريط والقنوات الفضائية والإنترنت، وكلها مملوكة لليهودية العالمية، بطريقٍ مباشرٍ أو غير مباشر.

11- تقديم الاستدلال التجريبي على سائر الأدلة ، وإقناع الناس بأن حكمه هو الصواب ، وأن كل دليل لا يقوم على التجربة فهو دليل باطل ، لا يجوز قبوله ولا الركون إليه .

المبحث الثاني :هنري برجسون ومعتقدات الدين الساكن

تعريف العقيدة

كلمة العقيدة مأخوذةٌ من فعلٍ حروفه عَقَدَ يَعْقِدُ عَقْداً ، وتعني اللزوم والتأكيد و الشد والاستيثاق والجزم والغلظة ، فمن ذلك قول العرب عَقَدَ الحبل أي شد بعضه إلى بعض، نقيض حل ، واعتقد الشيءُ إذا صَلُبَ واشتد ، وبمعنى التأكيد ورد قول الحق تبارك وتعالى : (**لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ**) ([21]) والعقود أوثق العهود قال تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**

والعقيـدة : الحكـم الـذي لا يُقْبَـلُ الـشكُ فيـه لـدى معتقِـده ... ، كعقيدة وجود الله ، وبعثة الرسل([23])

والعقيـدة اصـطلاحاً : هـي الأمـور التـي تـصدق بهـا النفـوس ، وتطمـئن إليهـا القلـوب ، وتكـون يقينـاً عنـد أصـحابها ، لا يمازجهـا ريـبٌ ولا يخالطهـا شـك ([24]) وتـسمى التوحيـد عنـد سـلف الأمـة، وتـسمية القـرآن لهـا (الإيمـان) وهو أوسع في المفهوم من العقيدة والتوحيد .

منبع المعتقدات في الدين الساكن

الـدين الـساكن عنـد برجـسون : هـو الـدين الـذي توارثـه النـاس مـن الآبـاء والأمهـات والمجتمـع كـابراً عـن كـابر ، وتبـرز معتقداتـه إلـى حيـز الوجـود كـرد فعـلٍ دفـاعيٍ تقـوم بـه الطبيعـة مُقَاوِمَـةً لهـدمٍ ينبـع مـن العقـل ، وتظهـر هـذه المقاومـة فـي صـورٍ وآراء تمنـع المـضي فـي الهـدم ، وينـتج عنهـا الأمـان مـن الخـوف (أصـل المعتقـدات التـي أتينـا علـى دراسـتها ، إنمـا هـو رد فعـل دفـاعي تقـوم بـه الطبيعـة ، محاربـة لِتَثْبِـيْطٍ مـصدره العقـل ، ورد الفعـل هـذا يثيـر فـي العقـل ذاتـه صـوراً و آراء ، تفنِـى التـصور المثـبط أو تمنعـه مـن أن يـصير إلـى فعـل ، فنـرى كائنـاتٍ تنبثـق ، ولـيس مـن الـضروري أن تكـون شخـصيات تامـة ، بـل يكفـى أن يكـون لهـا نيـات ، بـل أن تكـون

فالاعتقاد إذن يعني في جوهره الثقة ، وأصله الأول ليس هو الخوف، بل الأمان من الخوف.) (25)

وتنكمش هذه الثقة عند المتحضرين، وتتضخم وتتعدد عند غير المتحضرين، وكان المفروض أن تتقهقر كتقهقرها لدي المتحضر ، لِتَقَدُّمِ العلم المادي ، ولكنا نراها تجور على المنطقة المخصصة للعمل الآلي ، وتعطى لنفسها مكانة ينبغي نبذها من البشرية جمعاء. (26)

مناقشة منبع المعتقدات في الدين الساكن

قول برجسون في معتقدات الدين الساكن أنها رد فعلٍ دفاعي مناهضٍ لما يقوم به العقل من الهدم ، ربما أمكننا قبوله فيما يخص الدين المحرف ومعتقداته ، مع عدم الحصر في هذا المصدر ، لذا فقد نجد أفراداً من البشر أصيبوا بخوف نتيجة التفكير العقلي المحض ، فاتجهوا إلى التفكير المضاد ، فخرجت مثل هذه المعتقدات المُخجِلة ، التي تعد عاراً في جبين الإنسانية.

أما حصرها في هذا الرافد وحده فأمرٌ فيه نظر ، لأننا نجد أفراداً يمتثلون لمثل هذه المعتقدات مع عدم وجود الفكر الهادم ، كمن يمتثل تقليداً لغيره ، فالتقليد وإتباع الأفضل أمرٌ ملموسٌ في البشر ، وهو فطرة لا يستطيع الإنسان التخلي عنها ، لذا كثيراً ما تنتقل المعتقدات عن طريق هذا

ومـن هنـا حـذر القـرآن الكـريم عـن التقليـد الأعمـى، المبنـي علـى غيـر وعـي، وعـده ضـلالاً وتيهـاً، (وَكَـذَلِكَ مَـا أَرْسَـلْنَا مِـن قَبْلِـكَ فِـي قَرْيَـةٍ مِّـن نَّـذِيرٍ إِلَّـا قَـالَ مُتْرَفُوهَـا إِنَّـا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ) (27)

أضـف إلـى ذلـك أن للتربيـة دوراً بـارزاً فـي اعتنـاق المعتقـدات غيـر الـسديدة ، فقـد يُعَـوَّد الـصغير علـى تلقـي عقيـدة ، دون أن يـشعر بمحتواهـا، ومـا تحملـه مـن فكـرٍ فاسـد ، مـع أن الأصـل سـلامة المعتقـد فـي أمثـال هـذه الأغـصان الغـضة ، وإلـى مثـل هـذا الفـساد المنبعـث مـن الآبـاء والأمهـات جـاء التحـذير النبـوي ، (مـا مـن مولـودٍ إلا يولـد علـى الفطـرة ، فـأبواه يهودانـه أو ينـصرانه أو يمجـسانه، كمـا تنـتج البهيمـة بهيمـة جمعاء،هـل تحـسون فيهـا مـن جـدعاء ؟ ثـم يقـول فطـرة الله التـي فطـر النـاس عليهـا ، لا تبـديل لخلـق الله ، ذلـك الـدين القيم)(28)

ربمـا أضـاف غيـري إلـى هـذه المـصادر الثلاثـة - العقـل والتقليـد والتربيـة الفاسـدة - مـصادر أخـرى للمعتقـدات المحرفـة ، لأن الانحـراف غيـر محـصور فـي أفـرادٍ أو زمـنٍ معـين ، فهـو عرضـة للتجديـد والتنويـع ، حـسب رغبـة الإنـسان وحاجتـه .

أمـا معتقـدات الـدين الحـق فمـصدرها محـصورٌ فـي الله

وتنحصر طريقة تلقيها في إتباع آخر الرسل محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)(30) ولا يوجد مثل هذه المعتقدات السليمة اليوم إلا في كتاب الله ، أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن بحث عنها في غير هذين المصدرين فقد ضل السبيل ، وسلك طريقاً لا يقود إلى المطلوب، وأهم معتقدات الدين الساكن التي تحدث عنها برجسون هي:

أولاً: نفي النبوة

ينفي برجسون الاختيار في النبوة على استحياء ، فلا يجزم بالنفي القاطع ، رغم أنك تجده يساوي بين النبي والفيلسوف ، وأن الفلسفة نِدٌ للنبوة، ويشجع حلول الأولى مكان الأخيرة ، لذا تجده يمدح الفلاسفة اليونانيين ، وما قدموه من أفكار نبوية إلى البشر- على حد قوله- ولاسيما أفكار سقراط(31)

ويصل به التشكيك في النبوة إلى حد التردد في وجود عيسى ابن مريم عليه السلام ، وهل هو حقيقةٌ أو محض

مناقشة نفي النبوة

ويكفينـا فـي رد هـذا الافتـراء و التـردد أن القـرآن الكـريم يجـزم بالاصـطفاء ، وأن النبـوة اختيـار إلهـي بحـت ، لا يـستطيع الإنـسان نيلـها بالجهـد البـشرى ، (اللهُ يَـصْطَفِي مِـنَ الْمَلَائِكَـةِ رُسُـلًا وَمِـنَ النَّـاسِ إِنَّ اللهَ سَـمِيعٌ بَـصِيرٌ) (33) وينفـي أن يكـون للرغبـة البـشرية نـصيبٌ مـن النيـل والحـصول ، بـل يحـصر كـل ذلـك فـي إرادة الله عـز وجـل ، (وَقَـالُوا لَوْلَـا نُـزِّلَ هَـذَا الْقُـرْآنُ عَلَـى رَجُـلٍ مِـنَ الْقَـرْيَتَيْنِ عَظِـيمٍ أَهُـمْ يَقْـسِمُونَ رَحْمَـةَ رَبِّـكَ نَحْـنُ قَـسَمْنَا بَيْـنَهُمْ مَعِيـشَتَهُمْ فِـي الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَرَفَعْنَـا بَعْـضَهُمْ فَـوْقَ بَعْـضٍ دَرَجَـاتٍ لِيَتَّخِـذَ بَعْـضُهُمْ بَعْـضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)(34)

والفـرق بـين تعليمـات الفيلـسوف وبـين المبعـوث مـن عنـد الله ، أن تعليمـات الأول تقـدم المعرفـة إلـى النـاس ولا تطالـب بالعمـل ، بينمـا المبعـوث يقـدم المعرفـة ويطالـب البـشر بتنفيـذها علـى أرض الواقـع فـي صـورة عمـلٍ ملمـوس ، لتحـصل لهـم السعادة في الحياة العاجلة والحياة الآخرة .

ثانيا: نفي نزول الوحي

يقطع برجسون من منظور فلسفي عدم وجود الوحي ، وينفي الجهات التي تأمر بإنزاله ، ولا يعترف بتاريخ بشريٍ نزل فيه هذا الوحي ، فكل ذلك في نظره لا يستحق الاعتناء ، ولا التصديق به (لأن الفلسفة لا تعبأ بوحي نزل في تاريخٍ معين ، ولا بالمؤسسات التي تبلغ الوحي، ولا بالإيمان الذي يقبله). (35)

مناقشة نفي نزول الوحي

من المعروف عند العقلاء أن الوحي أوثق مصدر يقدم المعرفة إلى الإنسان ، و إنه يفوق التجربة في تقديم المعرفة ، فالإنسان مخلوق لله عز وجل محتاج إلى هدايته ، لتسَهِّلَ له أمور الحياة على هذه الأرض ، ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا الوحي ، فإنه الوسيلة الوحيدة لاتصال الإنسان بربه .

ويعرفه علماء الشرع بقولهم: هو الإعلام بأمر الله وشرعه بطريقةٍ من طرق الوحي المعهودة، وقد حصرها القرآن الكريم في قول الحق تبارك وتعالى: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) (36)

والكتب الإلهية بغض النظر عن صحتها من تحريفها تشهد بوجود هذا المصدر المعرفي ، وإنه وسيلة التعرف

ويفتـتح سـفر اللاويـين محادثـة موسـى مـع ربـه ، فيقـول : (دعـا الـرب موسـى وكلمـه مـن خيمـة الاجتمـاع قـائلاً:كلـم بنـي إسـرائيل ، وقـل لهـم إذا قـرب إنـسان قربانـاً للـرب مـن البهـائم، فمـن البقـر والغـنم تقربـون قـرابينكم ، إن كـان قربانـه محرقـة مـن البقـر فـذكراً صـحيحاً يقربـه، إلـى بـاب خيمـة الاجتمـاع يقدمه، للرضا عنه أمام الرب) (38)

ويخبـر إنجيـل متـى عـن يحـي عليـه الـسلام ، واسـتمراره فـي الـدعوة إلـى الله فـي بنـي إسـرائيل ، وطلبـه مـنهم التوبـة إلـى الله، وأن ذلـك هـو طريـق الله المـستقيم الـذي أمـره بـه،(وفـي تلـك الأيـام جـاء يوحنـا المعمـدان يكـرز فـي بريـة اليهوديـة، قـائلاً: توبـوا لأنـه قـد اقتـرب ملكـوت الـسماوات ، فـإن هـذا هـو

ومن هنا أستطيع أن أجزم أن هذا المصدر المعرفي عرفته البشرية منذ وجودها الأول، ولا سبيل إلى إنكاره مهما كان المُنكِر، فإن إنكاره غير مقنع، مَثَلُه في ذلك مثلُ من ينكر وجود الشمس الطالعة ، في وضح النهار مع وجود الضوء و الحرارة .

ولـيس يـصح فـي الأفهـام شـيءٌ إذا احتـاج النهـار إلى دليل

ثالثاً: نفي التقدير الإلهي

يتبنى برجسون وجهة نظر المعتزلة في تقدير الله للأشياء قبل وجودها ، فينفي أن يكون هناك شيءٌ مقدرٌ قبل الوجود الفعلي، بل الأمر أنفٌ لا مجال لإثبات وجوده قبل وقوعه على أرض الواقع، (وقد يتردد المرء أيضاً في قبول ذلك، إذا كان يرى ظهور كائنٍ كالإنسان قادرٍ على أن يُحِب ويُحَب، من بين الحيوانات والنباتات ، التي تعمر الأرض أمراً عرضياً ، ولكنا بينا أن هذا الظهور وإن يكن مقدراً من قبل ، فإنه ليس بعارض ، ورغم أنه كان ثمة خطوطٌ أخرى للتطور، غير الخط الذي ينتهي إلى الإنسان) (40)

مناقشة نفي التقدير الإلهي

تتفـق الكتـب الإلهيـة الموجـودة بـين أيـدينا، وعلـى رأسـها القــرآن الكــريم، أن الله كتــب مقــادير الخلائــق قبــل خلــق الــسماوات والأرض، ويــسمى ذلــك عنــد المــسلمين بعقيــدة القـضاء والقـدر ، فـأول مـا خلـق الله القلـم، فقـال لـه اكتـب، قـال: ومـاذا أكتـب يـا رب ، قـال اكتـب مـا هـو كـائن إلـى يـوم القيامـة، وإلــى ذلــك جــاءت الإشــارة الإلهيــة الواضــحة فــي قولــه سـبحانه،(وَمَـا مِـنْ دَابَّـةٍ فِـي الْـأَرْضِ وَلَـا طَـائِرٍ يَطِيـرُ بِجَنَاحَيْـهِ إِلَّـا أُمَـمٌ أَمْثَـالُكُمْ **مَـا فَرَّطْنَـا فِـي الْكِتَـابِ مِـنْ شَـيْءٍ** ثُـمَّ إِلَـى رَبِّهِـمْ يُحْشَرُون)[41]

رابعاً : مفهوم الشرك

يحـصر برجـسون الـشرك فـي الاعتقـاد بـالأرواح ، سـواء كانــت هــذه الأرواح شــريرة أو خيــرة ، [42] فعبادتهــا والتوجـه إليهـا شـركٌ ، أمـا المظـاهر الوثنيـة الأخـرى فليـست مـن الـشرك فـي شـيء ، (وإذا أوغلنـا فـي هـذا الـسبيل ومـضينا بـالمنطق إلـى أبعـد مـا وصـل إليـه الأقـدمون ، قلنـا إنـه لـم يكـن هنالـك شـركٌ نهـائيٌ إلا فـي الاعتقـاد بـالأرواح ، وإن الوثنيـة الحقيقيـة علـى مـا فيهـا مـن أسـاطير تنطـوي علـى توحيـدٍ كـامن، والآلهـة المتعـددة آلهـةٌ ثانويـة،لم توجـد إلا تمثـيلاً لمـا هـو إلهـيٌ بوجهٍ عام) .[43]

مناقشة مفهوم الشرك

أعظم ما يبعث الرسل من أجله هو الدعوة إلى التوحيد ، والحذر مما يناقض هذا الأساس ، وأعظم ذلك هو الشرك بالله ، ويعني صرف ما يختص بالله لغير الله عز وجل ، وتتعدد صوره من عبادة الأوثان أو الأشجار،أو الدواب أو الشهوات أو مظاهر الكون التي تَنِمُّ عن القوة ....

وحديث القرآن الكريم كله عن التوحيد ، والنهي عن الشرك ، فحديثه عن رب خالق متصفٍ بصفات الكمال لا يستحق العبادة سواه، بجميع أنواع التوحيد الثلاثة ، ونهيه عن التوجه إلى غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله هو نهي عن الشرك بعينه، وقد أخذ الله الميثاق من بني آدم وهم في أصلاب أبائهم على تبني التوحيد ، وعدم الإشراك بالله، (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ)(44)

فالوثنية شركٌ تنصرف إليه البشرية حين تنحرف عن الجادة ، ويغيب عنها وحي الله ، فتطلب النفع ودفع الضر ممن لا يملكه ، وبذلك تنزل إلى محيط البهائم، وتفقد التكريم الإلهي، ويَعُدُّ الإسلام الشرك أعظم ذنب عُصِيَ اللهُ به، ومن هنا جاء النهي عنه صراحةً دون لبس ، قال

وجـاء النهـي عـن ارتكابـه بلفـظ التحـريم، فـأمر خـاتم رسـله بإعلانــه لليهـود والنـصارى والمـشركين، وجميـع مـن يـستحق خطــاب الله،فقــال:(قُـلْ تَعَـالَوْا أَتْـلُ مَـا حَـرَّمَ رَبُّكُـمْ عَلَـيْكُمْ أَلَّـا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ...) (46)

وحـذر نبيـه - مـن بـاب إيـاك أعنـي و اسـمعي يـا جـارة - بأنـك متـى أشـركت حـبط عملُـك (وَلَقَـدْ أُوحِـيَ إِلَيْـكَ وَإِلَـى الَّـذِينَ مِـنْ قَبْلِـكَ لَـئِنْ أَشْـرَكْتَ لَيَحْـبَطَنَّ عَمَلُـكَ وَلَتَكُـونَنَّ مِـنَ الْخَاسِـرِينَ)(47) وجــاء الحكــم الإلهــي الفاصــل بــأن مــن مــات علــى الـشرك مآلــه جهـنم وبـئس المـصي، وأن مـا دون الـشرك مـن الــسيئات مرجعهــا إلــى الله ، إن شــاء غفرهــا لــصاحبها وإن شـاء عذبـه عليهـا للتطهيـر ثـم أدخلـه الجنـة (إِنَّ اللهَ لَـا يَغْفِـرُ أَنْ يُـشْرَكَ بِـهِ وَيَغْفِـرُ مَـا دُونَ ذَلِـكَ لِمَـنْ يَـشَاءُ وَمَـنْ يُـشْرِكْ بِـاللهِ فَقَـدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا) (48)

خامساً: الطبيعة تُحيي وتُميت

يعتقـد برجـسون أن المحيـي والمميـت سـيدٌ نحملـه معنـا فـي كـل حـين ، وينـام داخـل نفوسـنا ، فـلا داعـي للبحـث عنـه خــارج الــنفس البــشرية ، (ولا نريــد أن نــذهب بهــذا إلــى أن الـبطش مـن صـفات الـسيد الراقـد فـي أعماقنـا ، غيـر أنـه ممـا لا شـك فيـه أن الطبيعـة التـي تبيـد الأفـراد وتخلـق الأنـواع، حـين

مناقشة الطبيعة تحيي وتميت

الإحياء والإماتة من صفات الله عز وجل ، وصرف الصفتين إلى غير الله عز وجل صرف إلى من لا يستحقهما، وقد جاء التنصيص الإلهي على ذلك فقال عز من قائل: (إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)(50)، وقال سبحانه (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (51)

أما نظرة برجسون فلم تتعد السبب المباشر، فاستمسكت به، دون أن تبحث عن مُسَبب الأسباب، وهو الله عز وجل، وتلك هي الدائرة الضيقة لكل من يحصر مصادر معرفته في الأمور المادية ، ولا يعترف بالمصدر الغيبي الذي هو أوسع من المصدر المباشر المحسوس ، فبما أن الله هو المالك لمظاهر الكون كلها، فله الحق أن يعمل فيها بما يراه صالحاً ، سواء كان ذلك إيجاداً أو إعداماً، قال تعالى (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي

النَّهَـارَ يَطْلُبُـهُ
حَثِيثًـا وَالـشَّمْسَ وَالْقَمَـرَ وَالنُّجُـومَ مُـسَخَّرَاتٍ بِـأَمْرِهِ **أَلاَ لَـهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ** تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ العَالَمِين) (52)

سادساً: نفي وجود يوم القيامة

لا يعتـرف برجـسون بوجـود يـوم القيامـة ، الـذي يُحَاسَـبُ فيـه النـاس علـى أعمـالهم الدنيويـة إن خيـراً فخيـرٌ وإن شـراً فـشرٌ ، ويعلـل ذلـك بـأن الاعتقـاد بوجـوده يجـب أن ينفـى لـذة الحياة العاجلة ، أو يجعلها خافتةً لا تدرك بالعين المجردة .

وبمـا أن النـاس منهمكـون فـي اللـذات فـإن ذلـك كـافٍ لنفـي وجـوده ، (ولكـن هـذا وحـده يكفـي لأن يقلـب الاعتقـاد بالعالـم الآخـر، الـذي نجـده لـدى معظـم النـاس علـى صـورة لفظيـة مجـردة غيـر ذات تـأثير، أن يقلبـه إلـى واقـعٍ حـيٍ فعـال، ولكـي نـدرك ضـعف هـذا الاعتقـاد اللفظـي المجـرد ، يكفـي أن ننظـر إلـى النـاس كيـف يتهـالكون علـى اللـذات ، فهـل كـانوا يحرصـون عليهـا إلـى هـذا الحـد ، لـولا أنهـم يـرون فيهـا قهـراً للعدم وتحدياً للموت.

الحـق إننـا لـو كنـا واثقـين ثقـة تامـة بالبقـاء بعـد المـوت ، لمـا اسـتطعنا أن نفكـر فـي غيـره ، وقـد تبقـى اللـذة بعـد ذلـك ، إلا أنهـا تبقـى باهتـة لا لـون لهـا ، لأن شـدتها مـا كانـت إلا نتيجـة انتباهنـا إليهـا ، فمـا تلبـث أن تـشحب كمـا يـشحب نـور الـصباح

مناقشة نفي وجود يوم القيامة

يَعُدُّ دين الله الأخير الإيمان بوجود يوم القيامة ، الذي يحاسب فيه الناس على أعمالهم خيراً كانت أو شراً أحدَ أركان الإيمان الستة، وظل القرآن الكريم يبني هذه العقيدة في نفوس المؤمنين ضمن ثلاث عقائد - عبادة الله وحده ، وأن محمداً نبي حق ، وأن يوم القيامة آتٍ لا محيد عنه - محورية تدور حولها حديث السور المكية التسعة والثمانين .

وبتبني عقيدة وجود يوم القيامة تصلح الحياة العاجلة ، فإذا اعتقد الصالح من البشر وجودَها ازداد من الأعمال الصالحة ، وإذا اعتقد الطالح وجودها امتنع عن السيئات ، وأحجم عن ارتكابها ، قال تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ)(54)

وقال سبحانه محذراً المسيئين من عقوبة يوم القيامة ، (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ)(55)

وقال :عزوجل (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ

وجـاء القطـع الإلهـي بوجـود هـذا اليـوم ، وإن منكـره منكـرٌ لحقيقـةٍ ثابتـةٍ لا تقبـل الجـدل ، (اللهُ لَـا إِلَـهَ إِلَّـا هُـوَ لَيَجْمَعَـنَّكُمْ إِلَـى يَـوْمِ الْقِيَامَـةِ لَـا رَيْـبَ فِيـهِ وَمَـنْ أَصْـدَقُ مِـنَ اللهِ حَدِيثًا)(58)

أمـا قـضية غفلـة النـاس عـن هـذا اليـوم وعـدم الاكتـراث بـه ، لوجـود الفـرح واللـذة بيـنهم دون انقطـاع ، فـذلك مرجعـه امتحاننـا للخـضوع لأمـر الله ، هـل نأخـذ مـن الـدنيا القـدر المبـاح أو نتـصورها فرصـة لا تُعَـوَّض ، فنهتبـل منهـا أكبـر قدر ممكن .

أضـف إلـى ذلـك أن النـسيان مـن أعظـم نعـم الله علـى الإنـسان ، فلـو ظـل متـذكراً للمـآلات المؤلمـة لمـا تمتـع بلمحـةِ سـعادةٍ فـي حياتـه ، وأقـرب مـآلٍ لا يـشك فيـه أحـد مـن البـشر وجـود المـوت ، وإنـه سيـصيب كـلَ البـشر ، فلـو ظـل هـذا المـآل مـاثلاً فـي كـل لحظـة ، لمـا تقـدمت البـشرية خطـوةً واحـدةً إلـى الأمـام ، ولظلـت علـى عهـد الكهـوف والاحتطـاب وقـنص الـصيد ، ولمـا وجـدنا الـسيارات والطـائرات والغـسالات

فالغفلة والنسيان أعظم ما أنعم الله به على الإنسان ، ولولا وجودهما ما استطعنا العيش براحةٍ ولو لفترةٍ قصيرة ، وفيهما ينحصر سر التقدم وبهجة الحياة .

سابعاً: نفي الحياة الآخرة نعيمها وعذابها

تنبعث فكرة الحياة بعد الموت عند برجسون من أن الطبيعة وهبت للإنسان العقل ، فرأى كل من حوله يموت فأيقن أنه ميتٌ ، لا محالة شاء أم أبى ، فتباطأت حركة الحياة الإنسانية ربما اقتربت إلى التوقف لو علم الإنسان يوم موتِه ، إلا أن عدم وقوعه في سنوات ممتدة من حياته أضعفَ هذا اليقين، حتى وصل به إلى شبه ريبٍ في الموت،مع يقيننا الجازم بقدومه وإصابته كل البشر.

فجاء رد الفعل الدفاعي عن طريق الدين لمقاومة الموت ، فقدم لنا صورة بقاء الحياة بعد الموت بحياة أخرى غير هذه الحياة، لا موت بعدها أبداً.(59) (قلنا إن الدفعة الحيوية تجهل الموت، ثم بزغ العقل فظهرت فكرةُ استحالة اجتناب الموت،وقام عندئذٍ تصورٌ معاكسٌ يعيد للحياة دفعتَها،وعن هذا نشأت العقائد البدائية المتصلة بالموت) (60)

ويَنتقِد وجودَ مثل هذه الحياة بتقديم تشبيهين: بقاء

ويقتـرح أن يكـون تـصور الحيـاة الأخـرى ممـاثلاً لتـصور الــصوفية لوجــود الله وطبيعتــه، فــإنهم فيــه، وهــو فــيهم ، لا ينفــصل عــنهم ولا ينفــصلون عنــه ، فهكــذا ينبغــي أن يكــون تــصور حيــاة الآخــرة لا تغــادر جــسم الإنــسان الموجــود، ولا حياتــه، فكــل صــورها نعيمــاً وألمــاً يجــب أن تكــون فــي ذات الإنــسان فــي هــذه الحيــاة، لا تَعْـدُوه ولا تتعــداه، (وهكــذا فــإن نفـس الأسـباب التــي تحملنــا علــى الاعتقـاد بوجـود الله تبـين لنــا طبيعتــه، فــإذا اتفقنــا علــى هــذه النقطــة، كــان فــي وســعنا أن نتحــدث عــن القــدرة الكليــة التــي لله علــى هــدى، ونحــن نجــد أمثــال هــذه التعــابير تجــري علــى ألْــسِنَةِ المتــصوفين، الــذين نرجــع إلــيهم خاصــةً فــي الأمــور التــي تتــصل بالتجربــة الإلهية...

إنهــم لا يستحــضرون تــصوراً مغلقــاً، ولا يُعَرِّفــون الله بتعريـف نـستخلص منـه طبيعـة الكـون ، أو مـا يجـب أن يكـون عليـه الكـون، وهـذه الطريقـة نفـسها يجـب أن تطبـق علـى كافـة

مناقشة نفي الحياة الآخرة نعيمها وعذابها

نعم ما قاله برجسون حقيقة ثابتة، من أن الدين يقدم عقيدة حياة دائمة لا موت فيها بعد هذه الموتة الأولى، إلا أن منبعها الدين المنزل من عند الله عزوجل لا الدين الذي أنشأته الوظيفة الأسطورية البرجسونية، لمقاومة الهدم المنبعث من العقل.

وقد نص القرآن على وجود هذه الحياة الآخرة في مئات الآيات فمن ذلك قوله سبحانه (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (80) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(64)

وشبه سبحانه إحياء الناس للحياة الآخرة كإحياء الأرض عند إنزال المطر بعد الجَدب ، فإذا كان ذلك واقعاً مُعَايَناً غير منكرٍ ، فكذلك إحياء الناس للحياة الأبدية ، (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ

ووصـف القـرآن الكـريم هـذه الحيـاة الأبديـة بـالخلود وعـدم الـزوال، سـواءٌ كانـت حيـاة سـعادةٍ أو حيـاة شـقاء، فقـال سـبحانه فـي وصـف الأولـى، (لَكِنِ الَّـذِينَ اتَّقَـوْا رَبَّهُـمْ لَهُـمْ جَنَّـاتٌ تَجْـرِي مِـنْ تَحْتِهَـا الْأَنْهَـارُ خَالِـدِينَ فِيهَـا نُزُلًـا مِـنْ عِنْـدِ اللهِ وَمَـا عِنْـدَ اللهِ خَيْـرٌ لِلْـأَبْرَارِ)(66) وقـال فـي وصـف الحيـاة الأبديـة الـشقيةِ الخالـدة، (وَالَّـذِينَ كَفَـرُوا وَكَـذَّبُوا بِآيَاتِنَـا أُولَئِـكَ أَصْـحَابُ النَّـارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)(67)

أمـا نفـي برجسون بتقديم تـشبيهين كـدليل لمـا تـصوره فـي النفـي ، فهـو تـشبيه مـع الفـارق ، تـشبيه شـيءٍ مُـدركٍ بالعقـل بـشيءٍ فـوق تـصور العقـل لا يـستطيع إدراكـه ، إن فـي تلـك الحيـاة مـا لا عـين رأت ولا أذن سـمعت ولا خطـر علـى قلـب بشر .

فقـد جـاء فـي الحـديث القدسـي (قـال الله: أعـددت لعبـادي الـصالحين مـا لا عـينٌ رأت، ولا أذنٌ سـمعت ، ولا خطـر علـى قلـب بـشر ، فـأقرءوا إن شـئتم فـلا تعلـم نفـس مـا أخفـي لهـم مـن قـرة أعـين) (68) كمـا صـح مـن قولـه صـلى الله عليـه وسـلم (إن أهـون أهـل النـار عـذاباً يـوم القيامـة رجـلٌ علـى أخمـص قدميـه جمرتـان ، يغلـي منهمـا دماغـه كمـا يغلـي المِرْجَلُ بالقُمْقُم) (69)

فلـن يـستطيع العقـل البـشرى إبـات هـذه الحيـاة لأنهـا لا

فقضية الحياة الأخرى فوق التصور العقلي ، وطلبنا من العقل إثباتَها أو نفيَها تحميلٌ له فوق طاقته وإعْمَالُه فيما لم يخلق من أجله، فقد خلقه الله للبحث في أمور الحياة الدنيا، يربط السبب بالمسبب ، وينشئ المعامل التجريبية لمقتضيات الحياة الدنيا، ويجري التجارب على المواد الخام المتناثرة على وجه البسيطة ، ليستخرج منها ما ينفع البشر ، إلا أنه عاجزٌ عن إدراك الغيبيات وإثبات وجودها ، لأنها فوق قدرته ، ولم يخلق من أجل البحث فيها .

أما اقتراحه بأن يكون تصور الحياة الأخرى تصوراً داخل نفوسنا الحالية ولا يتعداها ، وأن تكون اللذة والألم ينالهما الإنسان في هذا الجسد في هذه الحياة ، كما يتصور الصوفي الإله بأنه فيه وأنه في الله ،

فإنـه اقتـراح غيـر مقبـول فـي الـدين الحـق ، وغيـر مقبـول عنـد العقل .

أمـا الـدين الحـق فـإن نـصوصَه تجـزم بفنـاء هـذا الجـسم ، وأنـه سـيحيى مـرة أخـرى ، وتكـون نقطـة تكوينـه عَجْـب الـذنب كمـا صـح بـذلك الخبـر عـن رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم (مـا بـين النفختـين أربعـون ، قـال: أربعـون يومـاً ؟ قـال: أبيـتُ. قـال: أربعـون شـهراً وقـال أبيـت قـال: أربعـون سـنة ؟ قـال أبيـتُ ، قـال ثـم ينـزل الله مـن الـسماء مـاءً ، فينبتـون كمـا ينبـت البقـل ، لـيس مـن الإنـسان شـيءٌ إلا يبلـى، إلا عظمـاً واحـداً وهـو عَجْبُ الذَّنَبِ ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة) (70)

فالنصوص الدينية الثابتة تعطينا حياتين:

الحياة الدنيا العاجلة التي هي محط اختبار للإنسان.

الحيـاة الآخـرة ينـال فيهـا الإنـسان جـزاء عملـه الدنيوي ، وأن هذه الحياة أبدية لا يخرمها الموت .

أمـا عـدم مقبوليتـه عنـد العقـل ، فـإن العقـل الـسليم يجـزم بـالفرق بـين هـذه الحيـاة العاجلـة ، وبـين الحيـاة التـي يريـد برجـسون تـصورَها فـي الـنفس البـشرية ، فهمـا حياتـان منفـصلتان ، لا يمكـن الجمـع بينهمـا إلا فـي التـصور العقلـي لا

كل ذلك ممكن من الناحية العقلية ، أما وجوده كواقعٍ عملي فهو بمثابة من يتصور البناء على السحاب ، أو على الماء في النهر الجاري ، لذا لم ينجح التصور الصوفي في جلب الناس إلى صفوفه في تصور الإله، بل عد الناسُ ذلك تفاهةً وخَبَالاً ، وحكموا على صاحبه بالجنون وفقدان العقل ، وعَدُّوا تصورَه غير منطقيٍ لحياةٍ بشريةٍ سليمة .

وأعظم المعتقدات على الإطلاق عقيدة وجود الله عزوجل ، وعليه بناء بقية المعتقدات الدينية، ولبرجسون موقفٌ واضحٌ تجاه وجوده سبحانه ، وتطور نشأته ، وتعدد صوره ....

ولِعِظَمِ هذه العقيدة في نفوس البشر أجمعين لم ينكرها أحدٌ في القرون الماضية ، قبل هذا القرن المُلحِد، فبدأ المفكرون الغربيون المُوَجَّهُون من اليهودية العالمية بتمييع وجوده أولاً، ثم تنويع مظاهره، ثم اتحاده بالإنسان، .....، حتى أنكروه، وجهروا بفلسفة تجزم بوجود مظاهر الكون من غير مُوْجد ، فأنكروا كل عقيدة وردت عن الله عزوجل.

وبمـا أن القـضية بهـذه الـضخامة ، أفـردت لهـا مبحثـاً كـاملاً لبيـان مـا قالـه برجـسون تجـاه جنـاب الله ، و قارنتـه بمـا تقـول بـه الأديـان المنزلـة مـن عنـد الله عزوجـل ، ولاسـيما الـدين الأخيـر الـذي تكفـل الله بحفـظ كتابـه ، فكـشفت حقيقـة القـضية بمـا ورد فـي هـذا الكتـاب المحفـوظ ومـا صـح مـن سـنة نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثالث : **هنري برجسون وعقيدة وجود الله**

التعريف بكلمة : (الله)

يقول ابن منظور في مادة (أَلَهَ) (الإلـه اسم الله عز وجل ، وكل ما اتخذ من دونه معبوداً ، والجمع آلهة ، والآلهة الأصنام ، سموا بذلك لاعتقادهم أن العبادة تَحِق لها) ([71])

ويحـدد ابـن فـارس فـي معجمـه المعنـى الأساسـي لهـذا البنـاء اللغـوي فيقـول : (أَلَـهَ الهمـزة والـلام والهـاء أصـل واحـد، وهـو التعبد، فالإله الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود، ويقال تأله الرجل إذا تعبد .... والإلاهة الشمس سميت بذلك لأن قوماً كـانوا يعبـدونها) ([72])

ويقدم الجـوهري تـصريف بنـاء (أَلـه) فيقـول (أَلـه بـالفتح أي عبد عبـادة ومنـه قولنـا (الله) وأصـله إلـه علـى فعـال بمعنـى مفعول لأنه مألوه أي معبود)([73])

وجمع الإله آلهة وهي الأصنام ، وسمتها العرب بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحِق لها ، والتأليه التعبيد ، والتألـه التنسك والتعبد ([74])

وإدخال (أل) التعريف على اسم الله ، وما تبع ذلك من القلب ، والحذف، وتحويل الحركة ، والإدغام، تفصيله كتب اللغة ([75])

ونخلص مما سبق أن كلمة (الله) تعني المعبود بحق، وهو عَلَمٌ على الذات، غير قابل للاشتقاق، والمعبود الحق هو الذي يجب طاعته ، فلا يُعبدُ إلا هو، ولا يطاع فَيَحْكُمُ في أمرٍ من أمور الدنيا إلا هو وحده .([76]) وإنه اسم الله الأعظم إذا دُعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى.

عقيدة وجود الله عزوجل عند برجسون

المطلع على تاريخ الأمم - من شرق العالم إلى غربه ، ومن شماله إلى جنوبه - لا يسعه إلا الإقرار بوجود الله عند أمم العالم كلها ، منذ بدء الخليقة حتى ما قبل النهضة الأخيرة في أوربا ، وضلال الأمم فيه ينحصر في الإشراك به لا في إنكار وجوده .

فإنكار وجود الله طارئ في التاريخ البشري لأسباب هيأتها الكنيسة النصرانية، وسلكه أفراد لمعاداة الكنيسة والانتقام منها، مُرغمين فطرتهم على ما لا ترتضيه،

ولبـرجـسون وجهـة نظـر فـــي وجـــود الله ، تتـضح فيمـا يلـي:

يـرى برجـسون أن أعظـم مـا أنتجتـه الوظيفـة الخرافيـة مـن الـوهم الإرادي لـدى الإنـسان فـي الـدين الـساكن هـو تـصور الإلــه ، ووجـوده ، (هـذا الـضرب مـن الخيـال الـذي أسـميناه بالوظيفـة الخرافيـة، ومـا علـى هـذه الوظيفـة إلا أن ترخـي لنفـسها العنـان ، فـإذا هـي تـصنع مـن شخـصيات أوليـة، ترتـسم ارتـساماً مبـدئياً آلهـة تـسمو، فتكـون آلهـة الأسـاطير، وتهـبط فتكـون الأرواح البـسيطة، أو تلـك القـوى التـي لا تحـتفظ مـن أصـلها النفـسي إلا بخاصـةٍ واحـدة، هـي كونهـا ليـست آليـةً صـرفاً، وكونهـا تخـضع لرغباتنـا وتـذعن لمـشيئتنا، فأمـا الاتجـاه الأول والثـاني فهمـا اتجاهـا الـدين، وأمـا الاتجـاه الثالـث فهو اتجاه السحر.) (77)

ويـشرح برجـسون فكـرة نـشوء الإلهـة بوضـوح أكثـر فـي هـذا الـدين ، وإنــه مرهـون بـالإرادة الإنـسانية، فيقـول:(وثمـة شـيءٌ آخـر يجـب أن نحـسب حـسابه ، فقـد رأينـا كيـف كـان الأقـدمون يـشهدون علـى مـرأى مـنهم نـشوء هـذا الإلـه، أو ذاك غيـر مبـالِين ، ثـم يؤمنـون بـه إيمـانهم بـسائر الآلهـة، وهـذا الأمـر يكـون غيـر مقبـول، لـو أن وجـود آلهـتهم كـان يبـدو لهـم

ويجـزم برجـسون أن كـل تطـور فـي الآلهـة الأسـطورية نـاتجٌ عـن الملكـة الخرافيـة، وأن تطورهـا لـم يخـضع لمبـادئ محـددة، وإن الإنـسانية وضـعت الحبـل علـى غاربهـا، فأنتجـت مـن الآلهـة مـا شـاء لهـا هواهـا، (والواقـع أنهـا لـم تخـضع فـي نـشوئها ولا فـي تطورهـا لأي قـانون، وإنمـا أرخـت الإنـسانية العنـان للغريـزة الخرافيـة، ففعلـت هـذه مـا شـاء لهـا هواهـا) [79] ومـن ثـم كـان الفـرق شاسـعاً بـين أسـاطير الآلهـة لـدي الأمم المختلفة.

بمـا أن العنـان مـرتخٍ للوظيفـة الخرافيـة ، فقـد كـان بإمكانهـا أن توجـد آلهـةً مخترعـة علـى غيـر الـشكل الموجـود حاليـاً ، فالحاجـة البـشرية هـي التـي توجـد الإلـه ، وتحـدد شـكله،[80] وتـربط وجـوده بمـا يلبـى حاجـة الإنـسان فـي مجتمعاته المتعددة.

فجـاء تـصور وجـود الإلـه ليـستفيد منـه الإنـسان ، فكـان مـن الطبيعـي أن يقلـده وظـائف حـسب حاجتـه ، فللغـرس إلـهٌ ، ولإزْهَـار الأشـجار إلـهٌ، ولإنـضاج الثمـر إلـهٌ، ([81]) فـالظروف والهـوى تنـشئان الآلهـة فـي مجتمعاتهـا المتعـددة . و لربمـا وجـود الإلـه المفـرد كـان لحاجـةٍ معينـةٍ ويمكـن الاسـتغناء

فالتـأثير فـي الـنفس الإنـسانية هـو الـذي ينـشئ الإلـه ، فيتـصوره الإنـسان كجـوهرٍ قـائمٍ ، ثـم يبـدأ بإعطائـه الـصفات التـي تلبـي حاجتـه ، فتـصور الإلـه ناشـئٌ مـن الفـرد ثـم ينـضم إليـه غيـره ، فتتكـون الإلهـة الاجتماعيـة ، فالإلـه تـصورٌ بـشريٌ محـض أنـشأته الوظيفـة الخرافيـة ، ليلبـي مـا تحتـاج إليـه الحيـاة الفردية أولاً ، ثم الاجتماعية ثانياً.[83]

فكـل شـيء ذات تـأثير فـي نظـر معتقـدي هـذا الـدين إلـهٌ ،[84] فمـن أعظـم المـؤثرات وجـود الأرواح ، ومنهـا انتقـل التـأثير إلـى الآلهـة المتعـددة دون شـعورٍ مـن هـؤلاء المعتقـدين (إن الانتقـال مـن الأرواح إلـى الآلهـة يكـاد لا يُـشْعَرُ بـه، ومـع ذلـك فـالفرق بينهمـا واضـحٌ ، فالإلـه شـخص لـه مزايـاه، ولـه نقائـصه ، ولـه خَلْقـه، ولـه اسـم يـسمى بـه ، ولـه مـع غيـره مـن الآلهـة صـلاتٌ محـدودة ، وهـو يقـوم بوظـائف هامـة، يقـوم بهـا وحـده).[85] ومـن هنـا لا مـانع أن يكـون كـل النـاس آلهـة بعـضهم لـبعض.[86] لأن كـل واحـدٍ مـنهم يـؤثر فـي الآخـر.[87] ولا مـانع أن تكـون الآلـة التـي صـنعها الإنـسانُ صانعـةً للآلـهـة علـى أرضنـا الأبيـة.[88]

تعدد الآلهة عند برجسون

تعدد الآلهة راجعٌ عند برجسون إلى إرادة الإنسان نفسه، فتتسع آلهة المدينة باتساعها ، وقد تنشب الحرب بين المُدن بسبب نزاع بين آلهةٍ متحاربة، وفي وسعها إجراء الصلح بينها وبين عدوها (وذلك بأن تدخل آلهة الشعب المغلوب في هيكل الشعب الغالب، على أن الحقيقة أن المدينة أو المملكة من جهة،وآلهتها الأوصياء عليها من جهةٍ أخرى ، كانتا تؤلفان شراكةً غامضةً، تَقَلَّبَتْ صفاتُها وتغيرت تغيراً لا حَد له).(89)

فإصدار أمرٍ من الأمير أو الحاكم كفيلٌ بإيجاد الآلهة، أو إزالتها ، وتَدَخلُ فرعون مصر اخناتون خير شاهدٍ لذلك، فقد أمر بإزالة آلهة مصر كلها، وأبقى على واحدةٍ منها، (واستطاع أن يجعل الناس يرتضون هذا النوع من التوحيد حتى آخر حياته ، والفراعنة كانوا يساهمون هم أنفسهم في الألوهية ، فكانوا منذ أقدم الأزمان يسمون أنفسهم أبناء (رع) ، فظلت هذه السُنَّةُ المصرية ، وهي تأليه الحكام حتى عهد البطالسة)(90)

وإن التاريخ يحدثنا عن ظاهرة تأليه الحكام ، في كل من سوريا في عهد السلوقيين ، وفي الصين واليابان ، حيث يتمتع الحاكم بجلال الألوهية في حياته ، ثم يصبح إلهاً بعد مماته ، كما نجد الظاهرة ذاتها في روما ، حيث أَلَّه مجلسُ

ومثـل هـذه الآلهـة تنـشأ وتمـوت ، وتكتـسبُ الأوضـاع المختلفـة ، وفْـقَ مـشيئة الأفـراد وظـروف معيـشتهم ،(92) وينـتج عـن ذلـك اتـساع ممتلكـات هـذا الإلـه وتـضيق ممتلكـات ذاك الإلـه، بموجـب مـا أسـنَدَ إليـه الإنـسانُ مـن الوظـائف، فتقـسِمُ الإرادةُ البـشرية الكـونَ فيمـا بيـنهم، فمـن الآلهـة مـا يخـتص نُفُوذهـا بالـسماء والأرض ومـا بينهمـا، ومنهـا مـا يخـتص نفوذهـا بـالبحر، ومنهـا مـا ينحـصر نفوذهـا فـي الأرض ، ومنها ما يختص نفوذها بجزءٍ محددٍ منها. (93)

ولـم يقتـصر أمـر الألوهيـة علـى الـذكور بـل شـارك فـي ذلـك الإنـاث ، فوُجِـدَتْ آلهـاتٌ عنـد كـل مـن اليونـانيين والرومـانيين والمغـول . (94) فالإلـه ينمـو بنمـو المدينـة ، يكـون فـي أول أمـره متواضـعاً ، ثـم يـصبح إلـه الأمـة بأسـرها ، فمهمـا عظـم الإلـه فـإن ألوهيتـه تقتـضي التغييـر ، فيغتنـي بـصفاتٍ جديـدةٍ بابتلاعـه آلهـة ضـعيفة تنمـي جـوهرَه ، وخيـر مـن مثـل الألوهيـة مـن هـذا النـوع إلـه الـشمس (رع) عنـد المـصريين ، و(بعـل) عنـد النينـويين ، و(ميـرو داخ) عنـد البابليين (95)

ويختلـف إلـه أرسـطو عـن الآلهـة الـسابقة جميعـاً،

ومن صور الألوهية – عند برجسون - في عصرنا الحاضر التي أنتجتها الوظيفة الخرافية صورة الحظ والنصيب، التي يتعاطاها المُقَامِر، فيعزو النجاح والإخفاق إلى حسن الحظ وسوئه ، رغم تفسيره كل ما ينقضي بين اللحظة التي وضع فيها المال ، وبين اللحظة التي تستقر فيها الكرة لإعلان الفوز أو الإخفاق ، يربطها بالأسباب الطبيعية ، ولكنه يضيف في النتيجة النهائية إلى هذه السببية الآلية دخول الحظ والنصيب، ويعطيها النتيجة الكاملة ويسحب البساط كاملاً من الأسباب الطبيعة، وبذلك تتحقق ألوهيةُ الحظ والنصيب، الناتجة من الوظيفة الخرافية، وإن ذلك مساوٍ لألوهية السحر والساحر. (97)

تعدد الآلهة هو الحضارة عند برجسون

ويعـد برجـسون تطـور الإلــه فــي الــدين الــساكن وتعـدد صـوره أمـراً حـسناً ، يقـود إلـى الرقـي البـشري ، وإن الـصعود التـدريجي فـي سـاحة الآلهـة زيـادةً والنـزول التـدريجي نقـصاً نـوع مـن التقـدم حققتــه البـشرية فــي سـيرها الحـضاري، وإن ذلـك هـو الأسـاس فـي الـديانات الـشعبية ومطمـح المرمـوقين من البشر. (98)

ويبنــي برجـسون نفـي وجـود الإلــه الميتــافيزيقي (الغيبــي) لعـدم دخولــه فــي أنبــوب التجربــة ، والــشيء الــذي لا تثبتــه التجربــة لا يمكـن إثبـات وجـوده، (ففـي رأينـا بوجــهٍ عـامٍ أن الـشيء الموجـود هـو الـشيء المـدرك، أو الـشيء الـذي يمكـن إدراكـه، وهـو إذن مـا تطلعنـا عليـه التجربـة، واقعيـة كانـت أو ممكنــة، أنــت تــستطيع أن تبنــي فكـرة عـن شــيءٍ أو عـن كـائنٍ كما يبني الهندسي.

ولكـن التجربـة وحـدها هـي التـي تقـرر إن هـذا لـشيء موجـودٌ بالفعـل خـارج الفكـرة ، التــي بنيتَهـا علــى هـذا النحـو ، لعلـك تقـول ، ولكـن هـذه هـي المـسألة كلهـا ، والمـسألة هـي أن نعـرف هــل ثمــة كــائنٌ يمتــاز عــن ســائر الكائنــات ، بأنــه لا يــدرك بالتجربــة ، ولكنــه مــع ذلـك موجـودٌ كوجـود تلـك الكائنــات.... ،حتــى إذا أتـيح بمعجـزةٍ وخلافـاً لـرأي الفلاسـفة ، أن يهـبط هـذا الله إلــى ســاحة التجربــة لأنْكَـرَه كـل النــاس، ومــا عرفــوه) (99

ويصل برجسون إلى النتيجة التي ارتضاها لنفسه فيما يختص بوجود الإله الغيبي ، بأنه ناشئٌ من الوظيفة الخرافية التي أنشأها العقل البشرى ، لمنع قوة العقل الهدامة ، فنظام المجتمع يفرض على الفرد التخلي عن بعض رغباته ، والتضحية بجزءٍ من حريته، التي أملاها عليه العقل في سبيل مصلحة غيره. (100)

ولم يكن من السهل إقناع الفرد بتقبل كل هذا الحرمان لمصلحة الآخرين ، لذا احتاجت البشرية إلى إيجاد قوةٍ تحفظ التوازن وتوفق بين مصالح الفرد ومصالح الجماعة ، وهي موجودةٌ سلفاً قد أعدتها الطبيعة في الإنسان ذاته ، حين سقته الفكرة الدينية ، وتمثلت في تصوير المحظورات الاجتماعية بصورةٍ مخيفةٍ ، تجعل من المخاطرة انتهاكها، وظلت تبالغ في هذا التصوير، حتى أوهمت الناس أن هذه المحظورات يقوم على حمايتها حارسٌ معنويٌ، يأمر وينهى وينذر، ويعاقب بالبطش والعقاب الأليم كلَ من ينتهكها.

فهي شبيهةٌ بلوحة إدارة المرور التي كُتِبَ عليها، (المرور ممنوع، فندرك المنع أول ما ندرك، لأنه واضحٌ وضوح النهار، ووراء هذا المنع نتصور فيما يشبه الظلام الحارس الذي سيحيلنا إلى القضاء ، كذلك النواهي التي تصون النظام الاجتماعي يلقى بها في أول الأمر كما هي ،

ووجـود هـذا الحـارس نـتج مـن عمـل الوظيفـة الأسـطورية ، التــي تجـسد المعنويــات وتُـشَخِّصُ المجـردات، فوجـود الإلــه الــوهمي حاجــةٌ بــشريةٌ وَلَّـدَتها المقتـضيات الاجتماعيــة، فعــن طريـق هـذه الوظيفـة يـستطيع الإنـسان اختـراع كائنـاتٍ ينـسب إليهـا أخلاقـاً وتاريخـاً، وأعظـم ذلـك وجـود الإلـه، (الحقيقـة أن العقـل ينــصح أول مــا ينــصح بالأنانيــة فينحــدر إليهــا الكــائن العاقـل، إذا لـم يحـل بينـه وبينهـا شـيءٌ، ولكـن الطبيعـة سـاهرةٌ، فقـد رأيـت أنهـا سـرعان مـا ألقـت فـي وجـه الـسيدة حارسـاً يمنعهـا مـن الـدخول، ويردهـا عـن البـاب المفتـوح، والحـارس هنــا هــو الله ، حــامي المجتمــع ، يُحَــرِّم ويوعــد ويعاقــب، إن العقل يعمل وفق إدراكاتٍ حاضرة) (102)

فالإلــه هــو الحــارس الــذي يقــوم بحمايــة المحظــورات الاجتماعيـــة، اخترعـــه المجتمـــع عـــن طريـــق الوظيفـــة الأســـطورية، لإخافـــة الفـــرد المتمـــرد علـــى النـــواهي الاجتماعيــة، ووجـوده يقـود إلــى الوفـاق بـين مـصالح الفـرد ومـصالح المجتمـع، فالإلــه والمؤلهـون أسـماء لمـسمى واحـد.

وتصورُ وجودِه بيننا الآن نوع من الترف ، لأننا تعدينا مرحلة الدين الساكن، الذي يحتاج فيه المجتمع إلى تماسك أفراده ، وذلك بوضع النظم والتشريعات التي تلبي مصالح كلِ البشر دون استثناء ، فتصور وجود هذا الإله لا يُجْدي نفعاً للحياة البشرية الآن . (104)

مناقشة وجود الله

مناقشتي لبرجسون في تصور الإله ووجوده تمر عبر أربعة منافذ :

المنفذ الأول : مناقشة وجود الله وتعدد الإله

ما قاله برجسون في تصور الإله في الدين الساكن، يمثل نصف الحقيقة التي أفاض فيها القرآن الكريم وناقشها وبَيَّن بطلانَها منذ وجودها، حتى رسالة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

ويمثل هذا النصف الإشراك بالله الذي يناقض توحيد الله عز وجل ، وقد درس برجسون هذا النصف وأفاض الحديث فيه ، من أن الأرواح آلهة والساحر إلهٌ وكل ذي تأثير في النفس البشرية يمثل الألوهية ، وأن الحظ والنصيب جزء من ذلك .

وإن حاجة الإنسان ورغباته الشخصية والاجتماعية تنشئ الآلهة ، فأمر الأمير كفيلٌ بإيجاد الإلهة وإزالتها ،

وأن تعـدد الإلـه راجـعٌ إلـى تنـوع الرغبـات البـشرية ، لـذا لـم تنحـصر الألوهيـة فـي الـذكور بـل دخلـت إليهـا الإنـاث، وإن الآلهـة والإلهـات يكتـسبون صـفاتٍ جديـدةٍ حـسب الحاجـة البـشرية ، وتـزداد الآلهـة نمـواً فـي العـدد وتـنكمش ضـموراً فـي العـدد حـسب الـضرورات الملجئـة ، وأن إلـه أرسـطو يختلـف عـن كـل ذلـك، فقـد تـصوره فـي الـسكون والحركـة وعمـل الفـرد الدءوب .....

كـل مـا قالـه برجـسون عـن الإلـه والألوهيـة المتنوعـة يمثـل خـط الانحـراف ، الـذي تنزلـق إليـه البـشرية لـسبب أو لآخـر، ودراسـة برجـسون لهـذا الجانـب لـم تتعـد مـا يقولـه دارسـو تـاريخ الأديـان فـي المجتمعـات البدائيـة وغيـر البدائيـة، إلا أنهـا تمثـل دراسـة نـصف الحقيقـة، ولتكملتهـا يجـب دراسـة الإسـلام ومعتقداتـه ، فـي الإلـه والألوهيـة وأحكامـه الـصارمة نحو الشرك وتعدد الإله .

وإنـي أتهـم برجـسون بالخيانـة وإخفـاء النـصف الآخـر مـن

وإن برجسون غير معذورٍ في عدم دراسته معتقدات الإسلام ، و تصور الإله والألوهية فيه ، لأن كتاب الإسلام - القرآن الكريم - متوفرٌ في كل مكان، في المدن والقرى والمساجد والمكتبات، بل في كل أرجاء الأرض ومن ذلك فرنسا، بالإضافة إلى وجود المسلمين الموحدين فيها، وإني أستغرب مسلكه، إذ يستطيع دراسة تطور الإله في الكونغو الأفريقية ، ولا يستطيع دراسة القرآن المتوفر بين يديه، بل في مكتبة كليته التي يُدَرِّس فيها ، إنها لغفلة مقصودة وأمرٌ دُبِّر بليل.

وبما أن برجسون غفل عن قصدٍ لدراسة هذا الجانب ، فإني مُلْزَمٌ بدراسته لتكميل نصف الحقيقة المتروكة، إذ لا تكتمل صورة الدين الحق إلا بذلك، وإليك موقف الإسلام الثابت من الإله والألوهية، ويمثل جانبين:

الجانب الأول :

جانـب إثبـات الإلـه الواحـد المتـصرف فـي الكـون كلـه ، المتـصف بـصفات الكمـال والجـلال لا يعتريـه نقـصٌ ، وإن الكـون كلـه ملكـه، وإن الإنـسان أكـرم مخلـوقٍ خلقـه، يجـب عليه الخضوع لخالقه فلا يستحق العبادة سواه.

جانـب نفـي الألوهيـة عـن غيـر الله: وإن صـرفَها لغيـره منـافٍ لحقيقـة الوجـود البـشري، منـاقضٍ لوجـود الإنـسان، وأن مـن صـرف شـيئاً مـن خـصائص الألوهيـة لغيـر الله فقـد أشـرك مـع الله، وكلمـا انحرفـت البـشرية عـن هـذه الجـادة أرسـل الله إليها مبعوثاً يعيدها إلى التوحيد.

جانب الإثبات للإله الحق

وأعظـم مـا يقـدم الـصورة المثلـى لإثبـات الإلـه الحـق أسـماؤه وصـفاته، الـواردة فـي كتـاب الله عـز وجـل وسـنة نبيـه صـلى الله عليـه وسـلم، ولا أسـتطيع ذكرهـا جميعـاً، ومظـان ذلـك كتـب العقيدة الإسلامية ، ومن أبرز تلك الأسماء:

الله : فهـو اسـمه بـل أعظـم أسـمائه قـال تعـالى: (اللّـهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ الْحَـيُّ الْقَيُّـومُ لاَ تَأْخُـذُهُ سِـنَةٌ وَلاَ نَـوْمٌ لَّـهُ مَـا فِـي الـسَّمَاوَاتِ وَمَـا فِـي الأَرْضِ مَـن ذَا الَّـذِي يَـشْفَعُ عِنْـدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِـهِ يَعْلَـمُ مَـا بَـيْنَ أَيْـدِيهِمْ وَمَـا خَلْفَهُـمْ وَلاَ يُحِيطُـونَ بِـشَيْءٍ مِّـنْ عِلْمِـهِ إِلاَّ بِمَـا شَـاء وَسِـعَ كُرْسِـيُّهُ الـسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255))(106)

الحي: فهو اسم من أسمائه والحياة صفة من صفاته ، قال تعالى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا)(107)

القادر: فهو اسم من أسمائه والقدرة صفة من صفاته ، قال تعالى: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ)(108)

العزيز: فهو اسم من أسمائه والعزة صفة من صفاته سبحانه ، قال تعالى: (كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ)(109)

السميع : فهو اسم من أسمائه والسمع صفة من صفاته ، قال تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(110)

العليم : فهو اسم من أسمائه والعلم صفة من صفاته ، قال تعالى: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)(111)

الرحمن : فهو اسم من أسمائه والرحمة صفة من صفاته ، قال تعالى : (قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً)(112)

الرحيم : فهو اسم من أسمائه والرحمة صفة من صفاته ،

الغفـار: فهـو اسـم مـن أسـمائه ، والمغفـرة صـفة مـن صـفاته ، قـال تعـالى : (وَإِنِّـي لَغَفَّـارٌ لِمَـنْ تَـابَ وَآمَـنَ وَعَمِـلَ صَـالِحًا ثُـمَّ اهْتَدَى)(114)

الـسلام : فهـو اسـم مـن أسـمائه قـال تعـالى : (هُـوَ اللهُ الَّـذِي لَـا إِلَـهَ إِلَّـا هُـوَ الْمَلِـكُ الْقُـدُّوسُ الـسَّلَامُ الْمُـؤْمِنُ الْمُهَـيْمِنُ الْعَزِيـزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ)(115)

الوهـاب : فهـو اسـم مـن أسـمائه وهـو المعطـي ، قـال تعـالى : (وَهَـبْ لِـي مُلْكًـا لَـا يَنْبَغِـي لِأَحَـدٍ مِـنْ بَعْـدِي إِنَّـكَ أَنْـتَ الْوَهَّـابُ)(116)

الـرزاق : فهـو اسـم مـن أسـمائه والـرزق صـفة مـن صـفات فعلـه الاختياريـة، يـرزق عبـاده متـى شـاء ، قـال تعـالى : (إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)(117)

الخبيـر: فهـو اسـم مـن أسـمائه قـال تعـالى : (قَالَـتْ مَـنْ أَنبَـأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ)(118)

القـوي : فهـو اسـم مـن أسـمائه قـال تعـالى : (اللهُ لَطِيـفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ العَزِيزُ)(119)

القيـوم : فهـو اسـم مـن أسـمائه قـال تعـالى : (وَعَنَـتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً) (120)

الـصمد : فهـو اسـم مـن أسـمائه قـال تعـالى : (قُـلْ هُـوَ اللهُ أَحَدٌ اَللهُ الصَّمَدُ) (121)

الأول : فهو اسم من أسمائه ، ويعني الذي ليس قبله شيءٌ ، قال تعالى: (**هُوَ الْأَوَّلُ**)[122]

الآخر: فهو اسم من أسمائه ، ويعني الذي ليس بعده شيءٌ ، قال تعالى: (**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرِ**)([123])

الظاهر: فهو اسم من أسمائه ، ويعني الذي ليس فوقه شيءٌ ، قال تعالى (**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ**) ([124])

الباطن : فهو اسم من أسمائه ، ويعني الذي ليس دونه شيءٌ ، قال تعالى :(هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ([125])

ولا شك أن إلهنا وإله العالمين جميعاً له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وما ذكرتُه نزرٌ يسيرٌ مما ورد إثباته لله عز وجل ، في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والمقصود بكل ذلك دعاء الله بها ، حتى ينال الإنسان شرف التكريم ، فينقطع من التذلل لغير الله ، ويحصر تذلله في الله عزوجل(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا)([126])

الجانب الثاني :

جانب نفي الإله غير الحق

وإذا انتقلنا إلى جانب النفي الذي تمثله كلمة التوحيد في جزئها الأول (لا إله) نجد القرآن الكريم والسنة النبوية قد أفاضا فيه أيضاً، فذكر العديد من الأمم التي أشركت مع الله، فأرسل الله أنبياءه إليهم ، فدعوا أقوامَهم للعودة إلى

شـرك قـوم نـوح عليـه الـسلام ، فقـد جـاء فـي الـصحيح أنهـــم صـــوروا صـــور صـــالحيهم وعبـــدوها، ([127]) فاسـتحقوا عقوبـة الله ، قـال تعـالى : (قَـالَ سَـآوِي إِلَـى جَبَـلٍ يَعْصِمُنِي مِـنَ الْمَـاء قَـالَ لاَ عَاصِمَ الْيَـوْمَ مِـنْ أَمْـرِ اللّـهِ إِلاَّ مَـن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ).([128])

شـرك عـادٍ قـوم هـود عليـه الـسلام ، (قَـالُوا يَـا هُـودُ مَـا جِئْتَنَـا بِبَيِّنَـةٍ وَمَـا نَحْـنُ بِتَـارِكِي آلِهَتِنَـا عَـنْ قَوْلِـكَ وَمَـا نَحْـنُ لَـكَ بِمُـؤْمِنِينَ إِنْ نَقُـولُ إِلَّـا اعْتَـرَاكَ بَعْـضُ آلِهَتِنَـا بِـسُوءٍ قَـالَ إِنِّـي أُشْـهِدُ اللهَ وَاشْـهَدُوا أَنِّـي بَـرِيءٌ مِمَّـا تُـشْرِكُونَ مِـنْ دُونِـهِ فَكِيـدُونِي جَمِيعًـا ثُـمَّ لَـا تُنْظِـرُونِ إِنِّـي تَوَكَّلْـتُ عَلَـى اللهِ رَبِّـي وَرَبِّكُمْ مَـا مِـنْ دَابَّـةٍ إِلَّـا هُـوَ آخِـذٌ بِنَاصِـيَتِهَا إِنَّ رَبِّـي عَلَـى صِـرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ([129])

شـرك ثمـودَ قـوم صـالح عليـه الـسلام ، (وَإِلَـى ثَمُـودَ أَخَـاهُمْ صَـالِحًا قَـالَ يَـا قَـوْمِ اعْبُـدُوا اللهَ مَـا لَكُـمْ مِـنْ إِلَـهٍ غَيْـرُهُ هُـوَ أَنْـشَأَكُمْ مِـنَ الْـأَرْضِ وَاسْـتَعْمَرَكُمْ فِيهَـا فَاسْـتَغْفِرُوهُ ثُـمَّ تُوبُـوا إِلَيْـهِ إِنَّ رَبِّـي قَرِيـبٌ مُجِيـبٌ قَـالُوا يَـا صَـالِحُ قَـدْ كُنْـتَ فِينَـا مَرْجُـوًّا قَبْـلَ هَـذَا أَتَنْهَانَـا أَنْ نَعْبُـدَ مَـا يَعْبُـدُ آبَاؤُنَـا وَإِنَّنَـا لَفِـي شَـكٍّ مِمَّـا تَـدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) ([130])

شـرك قـوم إبـراهيم عليـه الـسلام ، (وَلَقَـدْ آتَيْنَـا إِبْـرَاهِيمَ رُشْـدَهُ مِـنْ قَبْـلُ وَكُنَّـا بِـهِ عَـالِمِينَ إِذْ قَـالَ لِأَبِيـهِ وَقَوْمِـهِ مَـا هَـذِهِ التَّمَاثِيـلُ

شـرك بنـي إسـرائيل فـي عهـد موسـى عليـه الـسلام ، (قَـالُوا يَـا مُوسَـى اجْعَـلْ لَنَـا إِلَهًـا كَمَـا لَهُـمْ آلِهَـةٌ قَـالَ إِنَّكُـمْ قَـوْمٌ تَجْهَلُـونَ)(132)

وقـال عـز مـن قائـل فـي عبـادتهم العجـل (قَـالُوا مَـا أَخْلَفْنَـا مَوْعِـدَكَ بِمَلْكِنَـا وَلَكِنَّـا حُمِّلْنَـا أَوْزَارًا مِـنْ زِينَـةِ الْقَـوْمِ فَقَـذَفْنَاهَا فَكَـذَلِكَ أَلْقَـى الـسَّامِرِيُّ فَـأَخْرَجَ لَهُـمْ عِجْلًـا جَسَدًا لَـهُ خُـوَارٌ فَقَـالُوا هَـذَا إِلَهُكُـمْ وَإِلَـهُ مُوسَـى فَنَـسِيَ أَفَلَـا يَـرَوْنَ أَلَّـا يَرْجِـعُ إِلَـيْهِمْ قَوْلًـا

وخرجت نتيجة هذا الإله على يد موسى عليه السلام في صورة : (قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا)(134)

شرك بني إسرائيل في عهد عيسى عليه السلام ، (وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)(135)

وقال عز من قائل(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)(136) وقال سبحانه (لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(137)

تكذيب قوم يونس لنبيه ، وكشف العذاب عنهم

تكـذيب قـوم لـوط لنبيـه ، فقلـب الله عليهـا الأرض وجعـل عاليهـا سـافلها، فهـا هـو البحـر الميـت يـشهد بمكـان عـذابهم ، (قَـالُوا يَـا لُـوطُ إِنَّـا رُسُـلُ رَبِّـكَ لَـنْ يَـصِلُوا إِلَيْـكَ فَأَسْـرِ بِأَهْلِـكَ بِقِطْـعٍ مِـنَ اللَّيْـلِ وَلَـا يَلْتَفِـتْ مِـنْكُمْ أَحَـدٌ إِلَّـا امْرَأَتَـكَ إِنَّـهُ مُـصِيبُهَا مَـا أَصَـابَهُمْ إِنَّ مَوْعِـدَهُمُ الـصُّبْحُ أَلَـيْسَ الـصُّبْحُ بِقَرِيـبٍ فَلَمَّـا جَـاءَ أَمْرُنَـا جَعَلْنَـا عَالِيَهَـا سَـافِلَهَا وَأَمْطَرْنَـا عَلَيْهَـا حِجَـارَةً مِـنْ سِـجِّيلٍ مَنْـضُودٍ مُـسَوَّمَةً عِنْـدَ رَبِّـكَ وَمَـا هِـيَ مِـنَ الظَّـالِمِينَ بِبَعِيدٍ)(139)

شـــرك قـــوم إليـــاس وتكـــذيب نبيـــه فـــي دعـــوة التوحيـد،قال تعـالى:(وَإِنَّ إِلْيَـاسَ لَمِـنَ الْمُرْسَـلِينَ إِذْ قَـالَ لِقَوْمِـهِ أَلَـا تَتَّقُـونَ أَتَـدْعُونَ بَعْلًـا وَتَـذَرُونَ أَحْـسَنَ الْخَـالِقِينَ اللهَ رَبَّكُـمْ وَرَبَّ آبَـائِكُمُ الْـأَوَّلِينَ فَكَـذَّبُوهُ فَـإِنَّهُمْ لَمُحْـضَرُونَ إِلَّـا عِبَـادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ)(140)

تكـذيب بنـي إسـرائيل وحلـول اللعنـة علـيهم لارتكـابهم المنكـرات، علـى لـسان داؤد وعيـسى عليهمـا الـسلام (لُعِـنَ الَّـذِينَ كَفَـرُوا مِـنْ بَنِـي إِسْـرَائِيلَ عَلَـى لِـسَانِ دَاوُودَ وَعِيـسَى ابْـنِ مَـرْيَمَ ذَلِـكَ بِمَـا عَـصَوْا وَكَـانُوا يَعْتَـدُونَ كَـانُوا لَـا يَتَنَـاهَوْنَ عَـنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)(141)

تكـذيب أهـل مـدين لـشعيب عليـه الـسلام لنهيـه إيـاهم عـن عبـادة غيـر الله ، (قَـالُوا يَـا شُـعَيْبُ أَصَـلَاتُكَ تَـأْمُرُكَ أَنْ نَتْـرُكَ مَـا يَعْبُـدُ آبَاؤُنَـا أَوْ أَنْ نَفْعَـلَ فِـي أَمْوَالِنَـا مَـا نَـشَاءُ إِنَّـكَ لَأَنْـتَ الْحَلِـيمُ الرَّشِـيدُ قَـالَ يَـا قَـوْمِ أَرَأَيْـتُمْ إِنْ كُنْـتُ عَلَـى بَيِّنَـةٍ مِـنْ رَبِّـي وَرَزَقَنِـي مِنْـهُ رِزْقًـا حَـسَنًا وَمَـا أُرِيـدُ أَنْ أُخَـالِفَكُمْ إِلَـى مَـا أَنْهَـاكُمْ عَنْـهُ إِنْ أُرِيـدُ إِلَّـا الْإِصْـلَاحَ مَـا اسْـتَطَعْتُ وَمَـا تَـوْفِيقِي إِلَّـا بِـاللهِ عَلَيْـهِ تَوَكَّلْـتُ وَإِلَيْـهِ أُنِيـبُ وَيَـا قَـوْمِ لَـا يَجْـرِمَنَّكُمْ شِـقَاقِي أَنْ يُـصِيبَكُمْ مِثْـلُ مَـا أَصَـابَ قَـوْمَ نُـوحٍ أَوْ قَـوْمَ هُـودٍ أَوْ قَـوْمَ صَـالِحٍ وَمَـا قَـوْمُ لُـوطٍ مِـنْكُمْ بِبَعِيـدٍ وَاسْـتَغْفِرُوا رَبَّكُـمْ ثُـمَّ تُوبُـوا إِلَيْـهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ)(142)

ادعـاء فرعـون الألوهيـة وهلاكـه بعـذاب الله ، وبيـان موسـى عليـه الـسلام لـه حقيقـة مـن يـستحق الألوهيـة ، قـال تعـالى : (فَلَمَّـا جَـاءَهُمْ مُوسَـى بِآيَاتِنَـا بَيِّنَـاتٍ قَـالُوا مَـا هَـذَا إِلَّـا سِـحْرٌ مُفْتَـرًى وَمَـا سَـمِعْنَا بِهَـذَا فِـي آبَائِنَـا الْـأَوَّلِينَ وَقَـالَ مُوسَـى رَبِّـي أَعْلَـمُ بِمَـنْ جَـاءَ بِالْهُـدَى مِـنْ عِنْـدِهِ وَمَـنْ تَكُـونُ لَـهُ عَاقِبَـةُ الـدَّارِ إِنَّـهُ لَـا يُفْلِـحُ الظَّـالِمُونَ وَقَـالَ فِرْعَـوْنُ يَـا أَيُّهَـا الْمَلَـأُ مَـا عَلِمْـتُ لَكُـمْ مِـنْ إِلَـهٍ غَيْـرِي فَأَوْقِـدْ لِـي يَـا هَامَـانُ عَلَـى الطِّـينِ فَاجْعَلْ لِـي صَـرْحًا لَعَلِّـي أَطَّلِـعُ إِلَـى إِلَـهِ مُوسَـى وَإِنِّـي لَأَظُنُّـهُ مِـنَ الْكَـاذِبِينَ وَاسْـتَكْبَرَ هُـوَ وَجُنُـودُهُ فِـي الْـأَرْضِ بِغَيْـرِ الْحَـقِّ وَظَنُّـوا أَنَّهُـمْ إِلَيْنَـا لَـا يُرْجَعُـونَ فَأَخَـذْنَاهُ وَجُنُـودَهُ فَنَبَـذْنَاهُمْ فِـي الْـيَمِّ فَـانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ)(143)

شرك العرب عند رسالة محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، فقد بُعِثَ صلى الله عليه وسلم وهم منغمسون في عبادة الأصنام، فقد وضعوا في جوف أطهر بيت على وجه الأرض وما حوله 360 صنماً، ومن أعظم أصنامهم هُبَل واللات والعزى وذوالخلصة وما سواه،(أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى) (144)

ويتصورون شراكتها مع الله عز وجل ، وأنها تشفع لهم عند الله ، قال تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)(145)

ونَفى القرآنُ أن يكون لله ولدٌ ينتمي إليه ، لأن ذلك شركٌ بالله ، قال تعالى (لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)(146)

وكَذَّب قريشاً ومعها العرب في نسبتها إلى الله البنين والبنات ، وَعَدَّ ذلك شركاً ، قال تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ

وإنــي لأستـشف الخبـر مـن آخـر الكتـب المنزلــة مـن عنـد الله عـن أنـواع الـشرك التـي سـتحدث بعـد انتهـاء نزولـه ، فمـن أعظـم ذلـك عبـادة اللـذة والـشهوة ومـا تطمـح إليـه الـنفس ، دون النظـر إلــى حِلِيَّتِـه مـن حُرمَتِـه، قـال تعـالى:(أَرَأَيْـتَ مَـنِ اتَّخَـذَ إِلَهَـهُ هَـوَاهُ أَفَأَنْـتَ تَكُـونُ عَلَيْـهِ وَكِيلًـا أَمْ تَحْـسَبُ أَنَّ أَكْثَـرَهُمْ يَـسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُـونَ إِنْ هُـمْ إِلَّـا كَالْأَنْعَـامِ بَـلْ هُـمْ أَضَـلُّ سَـبِيلًا)(148)

هــذا وقــد جمــع ديــن الله الأخيــر الجــانبين فــي كلمــة الــشهادة التــي بهــا يــدخل المــرء فــي الإســلام (لا إلــه إلا الله) نَفْـيٌ للآلهـة المزيفـة واثبـات للإلـه الحـق، الـذي أمـر الله الخلـق بعبادتــه، قــال تعــالى (وَمَــا خَلَقْـتُ الْجِـنَّ وَالْـإِنْسَ إِلَّـا لِيَعْبُـدُونِ)(149)

المنفذ الثاني : مناقشة إثبات الإله بالتجربة

ينفـي برجـسون وجـود الإلـه بنـاءً علـى أنـه لا يمكـن إثباتـه بالتجربــة ، فبمــا أن التجربــة لا تثبتــه فهــو غيــر موجــود ،

كم من حقيقةٍ ثابتةٍ نثبت وجودَها دون أن تثبتها التجربة ، فالموت مثلاً حقيقةٌ ثابتةٌ يمكننا إدراك آثاره دون إدخاله في أنبوب المعمل ، نرى حركة الجسم قد توقفت فنحكم عليه بالموت ، ولكن هل يمكن إجراء التجربة على الموت ذاته ، لإثبات وجوده ؟ فها هو الموت مخلوقٌ من مخلوقات الله ، أثبتنا وجوده من غير تجربة ، لأنه من عالمٍ غير مادي ، فما حقيقته وما مكوناته ، كل ذلك نجهله ، لا ندرك منه إلا توقف الحركة ، وقد أثبتنا وجودَه بالإجماع، ألا ترى قدرة الله وآثارَها في كل مخلوقاته، فهي كافية لإثبات وجوده ، فَمَنْ خَلَقَ السماواتِ ومن خَلَقَ الأرضَ ، ومن ينزل المطر ، ومن أوجد أول إنسان على وجه الأرض؟.

وإلى مثل ذلك جاءت الإشارة القاطعة بوجود الله عز وجل، (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(150) وقال عز من قائل(اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)(151) وقال سبحانه (فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(152)

وقـال سـبحانه فـي تـذكير الإنـسان بخالقـه وإلهـه وإنـه المتـصرفُ فـي وجـودِه (وَلَقَـدْ خَلَقْنَـا الْإِنْـسَانَ مِـنْ سُـلَالَةٍ مِـنْ طِـينٍ ثُـمَّ جَعَلْنَـاهُ نُطْفَـةً فِـي قَـرَارٍ مَكِـينٍ ثُـمَّ خَلَقْنَـا النُّطْفَـةَ عَلَقَـةً فَخَلَقْنَـا الْعَلَقَـةَ مُـضْغَةً فَخَلَقْنَـا الْمُـضْغَةَ عِظَامًـا فَكَـسَوْنَا الْعِظَـامَ لَحْمًـا ثُـمَّ أَنْـشَأْنَاهُ خَلْقًـا آخَـرَ فَتَبَـارَكَ اللهُ أَحْـسَنُ الْخَـالِقِينَ)(153)

يتفـق علمـاء التجـارب المـاديين جميعـاً أن الـشيء لا يحمـل فـي نفسه الأسبابَ الكافيـة لوجـوده، إذن فـلا بـد لـه مـن مُوجِـد، وهـو الله ، وإلـى مثلـه لفـت الله أنظـار البـشر،(أَمْ خُلِقُـوا مِـنْ غَيْرِ شَـيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَـالِقُونَ) (154) ومـا كتبـه فرانـك ألـن البيولـوجي الأمريكـي تحـت عنـوان نـشأة العـالم هـل هـو مـصادفةٌ أو قـصدٌ ، ومـا كتبـه روبـرت مـوريس بيـدج الأمريكـي مكتـشف الـرادار عـام 1934م تحـت عنـوان اختبـار شـامل، ومـا كتبـه إدوارد لـوثر كيـسيل أسـتاذ مـادة الأحيـاء ورئـيس ذلـك القـسم فـي جامعـة سـان فرانسيـسكو،وغيرهم المئات،فـإن أبحـاثهم العلميـة تُجْمِـعُ علـى أن العلـوم الماديـة كلمـا تقـدمت أضـافت أدلـة جديـدة علـى وجـود الله .(155)

آلات إجـراء التجـارب صـنعت للعـالم المـادي، فالمـادة ومـشتقاتها يمكـن إدخالهـا فـي أنبـوب التجـارب، لأنـه ميـدانها وصـنع مـن أجلهـا، ولكـن كيـف نجـرى التجربـة علـى

كتب ماريت ستانلي عالم الطبيعة وعضو الجمعية الأمريكية الطبيعية تحت عنوان: درسٌ من شجرة الورد فقال:(إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه ، ويدل على قدرته وعظمته، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها، حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية ، فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله، وعظمته.

ذلك هو الله الذي لا نستطيع أن نصل إليه بالوسائل العلمية المادية وحدها ، ولكننا نرى آياته في أنفسنا ، وفي كل ذرةٍ من ذرات هذا الوجود ، وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته) (156)

المنفذ الثالث : مناقشة (المجتمع أوجد الإله لحماية المحظورات الاجتماعية)

يعيد برجسون المحظورات الاجتماعية إلى وجود الحارس الذي أنشأه الدين لحمايتها ، وإنه يعاقب المنتهك المتمرد الذي يعتدي عليها.

كلامٌ أشبه ما يكون بحجب نور الشمس في النهار بغمض العينين ، فهل يستطيع المُغمِض إقناع الناس بعدم

فتطفيـف الكيـل والميـزان محظـورٌ اجتمـاعي ، أرسـل الله نبيـه شـعيباً إلـى أهـل مـدين للتحـذير منـه ،(وَإِلَـى مَـدْيَنَ أَخَـاهُمْ شُـعَيْبًا قَـالَ يَـا قَـوْمِ اعْبُـدُوا اللهَ مَـا لَكُـمْ مِـنْ إِلَـهٍ غَيْـرُهُ وَلَـا تَنْقُصُوا الْمِكْيَـالَ وَالْمِيـزَانَ إِنِّـي أَرَاكُـمْ بِخَيْـرٍ وَإِنِّـي أَخَـافُ عَلَـيْكُمْ عَـذَابَ يَـوْمٍ مُحِيطٍ وَيَـا قَـوْمِ أَوْفُـوا الْمِكْيَـالَ وَالْمِيـزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَـا تَبْخَـسُوا النَّـاسَ أَشْـيَاءَهُمْ وَلَـا تَعْثَـوْا فِـي الْـأَرْضِ مُفْـسِدِينَ) (157)

اللـواط محظـورٌ اجتمـاعيٌ ، أرسـل الله نبيـه لوطـاً للإنكـار عليـه ، (كَـذَّبَتْ قَـوْمُ لُـوطٍ الْمُرْسَـلِينَ إِذْ قَـالَ لَهُـمْ أَخُـوهُمْ لُـوطٌ أَلَـا تَتَّقُـونَ إِنِّـي لَكُـمْ رَسُـولٌ أَمِـينٌ فَـاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُـونِ وَمَـا أَسْـأَلُكُمْ عَلَيْـهِ مِـنْ أَجْـرٍ إِنْ أَجْـرِيَ إِلَّـا عَلَـى رَبِّ الْعَـالَمِينَ أَتَـأْتُونَ الـذُّكْرَانَ مِـنَ الْعَـالَمِينَ وَتَـذَرُونَ مَـا خَلَـقَ لَكُـمْ رَبُّكُـمْ مِـنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ)(158)

الزنـا محظـورٌ اجتمـاعيٌ ، حـرم الله تعاطيـه وعاقـب مرتكبه،(الزَّانِيَـةُ وَالزَّانِـي فَاجْلِـدُوا كُـلَّ وَاحِـدٍ مِنْهُمَـا مِئَـةَ جَلْـدَةٍ وَلَـا تَأْخُـذْكُمْ بِهِمَـا رَأْفَـةٌ فِـي دِيـنِ اللهِ إِنْ كُنْـتُمْ تُؤْمِنُـونَ بِـاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)(159)

والسرقة محظورٌ اجتماعيٌ ، نهى الله عن ارتكابه وعاقب مرتكبه،(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)([160])

وقِسْ على ذلك بقية المحظورات الفردية والاجتماعية ، فكلها جاءت من عند الله عن طريق رسل الله ، في الديانات الحَقَّةِ المنزلة من عند الله ، لا دَخْلَ للمجتمع في حظرها وإيجاد حارس يحميها ويعاقب من ينتهكها، بل كل ذلك مرجعه إلى الله عزوجل، فلا مكان لإله أوجده المجتمع لحراسة المحظورات الاجتماعية .

المنفذ الرابع : مناقشة (إثبات وجود الإله الآن ترف)

يرى برجسون أن إثبات وجود الإله ترفٌ الآن ، لأن تماسك أفراد المجتمع يتم عن طريق النظم والتشريعات، فلا حاجة إلى وجود إله يجمع أفراد المجتمع.

كلام مبنيٌ على غير الحقيقة والواقع ، فالنظم والتشريعات الوضعية تُخِيف الأفراد الذين يُكَوِّنُون المجتمع، ولا تجمعُ بينهم إلا برفع العصا العقابية الغليظة، بل الذي يجمع بين أفراد المجتمع والشعوب والأمم هو العقيدة الصحيحة، فبالامتثال لها تتوحد توجهات الأفراد فيُكَوّنُون المجتمعات والشعوب والأمم، وقد رأت البشرية هذا المجتمع الإنساني الكبير واقعاً مشهوداً في عقيدة الإسلام ، التي أنزلها الله على آخر رسله محمدٍ صلى الله

فقـد جَمَعَـتْ هـذه العقيـدة بـين العـرب ، والفـرس ، والهنـود ، والمـصريين، والأفارقـة ..... ، فأذابـت الفـوارق بالتـشريع الموحـد المنـزل مـن عنـد الله عـز وجـل، فحاجـة البـشرية إلـى وجـود الإلـه وتطبيـق تـشريعاته المُوَحَّـدَةِ قائمـةٌ كحـاجتهم إلـى ذلـك منـذ وجـود الإنـسانية وظهـور الإنـسان الأول علـى وجـه الأرض ، وسـتظل قائمـةً إلـى أن يـرث الأرض ومـن عليهـا ، ولا يتحقـق تماسـك الأفـراد والجماعـات والـشعوب والأمـم إلا بإثبـات الإلـه الحـق ، وتطبيـق تـشريعاته الموحـدة علـى البـشر أجمعين .

الخاتمـة والنتائج

لكل جهدٍ ثمرةٌ ونتيجة، يصل إليها صاحب الجهد، وقد توصلت في جهدي هذا إلى النتائج التالية:

1- للتوجيه أثرٌ ملموسٌ ، يبدأ الإنسان في اكتسابه منذ صباه ويستمر حتى الممات، وإن الأم والأب والمدرسة ومكان العمل من المُوَجهات الأساسية في الحياة .

2- وُلِد برجسون وترعرع وشب وشاخ في عصر استقر فيه إنكار وجود الله ، ومن هنا جاءت جهوده كلها تصب في مساندة هذا الاستقرار .

3- منبع المعتقدات في الدين المنزل من عند الله هو الله عزوجل.

4- النبوة اختيار يختارها الله لمن يشاء من عباده ، فيكون رسولاً لهداية البشر.

5- ظاهرة نزول الوحي حقٌ ثابتٌ ، لا مجال لإنكارها ، وإن المنكر مكابرٌ كمكابرة من ينكر وجود الشمس في هذه الحياة العاجلة.

6- قَدَّرَ الله مقادير الخلائق قبل خلقها ، وأن المخلوقات - بما في ذلك الإنسان تسير وِفقَ ذلك المقدر المكتوب في اللوح المحفوظ، ولا يعني ذلك عدم الأخذ بالأسباب لعدم علمنا بالمكتوب.

7- مفهوم الشرك غير محددٍ في صورٍ معينة ، بل إنه قابلٌ للتمدد ووجودِ صورٍ جديدةٍ لم تكن في زمن من قبلنا ، وحصره في عبادة الأرواح حصرٌ لمن لا يقبل الحصر.

8- الطبيعة تعني مظاهر الكون، لا تملك الأسباب الكافية للإيجاد أو الإعدام، بل الموجِد والمُفنِي هو الله، فلإحياء والإماتة من صفاته سبحانه عزوجل.

9- يوم القيامة آتٍ لا محيد عنه، ووجود اللذة بين الناس غير كافٍ لنفيه، لأن اللذة وانهماك الناس في أمور الحياة من باب الامتحان، ولا يقود ذلك إلى نفي ذلك اليوم .

10- تصور الحياة الآخرة كتصور الصوفي لله ، من أنه في الله ، وأن الله فيه ، مخالفٌ لقوانين الفطرة ، فإن الناس يدركون الفرق بين الصانع والمصنوع ، وبين المُنْتِج والإنتاج ، فالأول فاعل والأخير أثر لذلك الفعل ونتيجته .

11- وجود الله أعظم حقيقة أقرت بها البشرية ، وما قاله برجسون لا يتجاوز الوَهْم والخيال البشري المُوَجَّه إلى هدفٍ معين ، أُرِيْدَ به توجيه البشر إليه .

12- تعدد الإله شركٌ ، ولا يقود إلى التحضر السليم الذي يخدم البشر ، بل التحضر محصورٌ في توحيد الإله ، وتوجيه جميع الناس إليه ، لأنه مستغنٍ وغيره محتاجٌ إليه .

13- وجود الله لا يحتاج إلى دليل ، لأن أدلة وجوده منثورة في كل ذرةٍ من ذرات الوجود ومظاهره المختلفة .

14- شهادة التوحيد (لا إله إلا الله) تثبت وجود الإله عن طريق:

أ- جانب الإثبات للإله المتصرف في هذا الكون .

ب- جانب النفي للألوهية عمن سواه، فلا يصح صرف العبادة إلى غيره سبحانه عزوجل .

15- أعظم ما يثبت وجود الله أسماؤه وصفاته ، وعدم الإشراك به ، وإن الأمم السابقة تعرضت للهلاك بسبب إشراكها بالله .

16- التجربة وأنابيب المعامل لا تقود إلى نفي وجود الله ، لأن عملها ينحصر في العالم المادي ، فإن كانت عاجزةً عن إثبات

17- المجتمع البشري لم يُوْجد الإله لحماية المحظورات الاجتماعية ، وإنما تلك المحظورات والمنهيات أنزلها الله على مبعوثيه لحماية عباده من الضرر الذي سيلحقهم متى انتهكوها .

18- إثبات وجود الإله ليس تَرَفاً، وإنما لحاجة الإنسان إليه، لأنه يملكه ويتصرف فيه ، ويعرف ما يضره وما ينفعه.

الهوامش والإحالات

[1]) انظر نوابغ الفكر الغربي 3 برجسون ل د/ زكريا إبراهيم كامل الكتاب ، منبعا الأخلاق والدين لهنري برجسون ، تعريب سامي الدروبي وعبد الله عبد الدائم ص5-16 ، مع الفيلسوف للدكتور محمد ثابت الفندي – هكذا على غلاف الكتاب ، ص 90 ، المدخل إلى ميتا فيزيقيال د/ محمد علي أبو ريان المقدمة ، الطاقة الروحية لهنري برجسون ترجمة د/علي مقلد المقدمة ، الطاقة الروحية لهنري برجسون ترجمة د/ سامي الدروبي المقدمة ، قصة الفلسفة الحديثة لأحمد أمين وزكي نجيب محمود فصل الفلاسفة الفرنسيون ، موسوعة الفلسفة للدكتور عبد الرحمن بدوي ج 1ص321-341 .

[2]) انظر الموسوعة العربية العالمية ، ج5 ص396.

3) ص 347 والنص بِجُمَلِهِ وحروفه منقول من الموسوعة العربية الميسرة ص 345 ، ولم يشر الشيخ إلى المصدر الذي أخذ منه،بل قدم هذه الخلاصة على أنها خلاصته في دراسته لبرجسون، ولا شك أن ذلك عمل غير مقبول في الأطروحات العلمية .

4) انظر للتفصيل : Challaye Bergson Paris Editons Mellotte Collection p6 و نوابغ الفكر الغربي 3 برجسون ، للدكتور زكريا إبراهيم ص 17 .

5) عالم فلكي بولندي عاش بين عامي 1473- 1543م انظر للتفصيل الموسوعة العربية الميسرة ص 1495 .

6) فيلسوف ايطالي عاش بين عامي 1548 – 1600م انظر للتفصيل الموسوعة العربية المسيرة ص 363 .

7) عالم فلكي إيطالي عاش بين عامي 1564 – 1642 م انظر للتفصيل الموسوعة العربية الميسرة ص 597 .

8) انظر الكتاب المقدس ، سفر التكوين ، الإصحاح الأول كله ص3-4 .

9) انظر للتفصيل .Cf.R.Berthelot un Pragmatisme Utilitaire. H. Bergson p129

10) انظر للتفصيل CF. La Gazette de Lausonne du 29 Ceptembar 1941

11) انظر للتفصيل Raissa Maritain: Henri Bergson Souvenirs, in Bergson p68 Neuchata

12) انظر للتفصيل الموسوعة العربية الميسرة ص 345 .

13) انظر للتفصيل نوابغ الفكر الغربي 3 برجسون ، ص 24 – 31 .

14) وقد قرأته من ألفه إلى يائه .

15) وقد قرأته من ألفه إلى يائه واستشهدت به في غير هذا البحث .

16) انظر للتفصيل .Energie Spirituelle: H-Bergson, Paris Editons p111

17) قد قرأت كتابه هذا كاملاً ، واستشهدت به في مواضع من أبحاثي عن برجسون .
18) انظر للتفصيل H. Bergson: Essai sur Les Donnees p44
19) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون ، ص 120 ترجمة محمد خليفة التونسي .
20) المصدر السابق ص : 112 .
21) سورة المائدة ، آية : 89 .
22) سورة المائدة ، آية : 1 .
23) انظر لسان العرب ل ابن منظر مادة عقد ج6 ص 353، ومعجم مقاييس اللغة ابن فارس ج 4 ص 86 ، المعجم الوسيط مادة عقد ج2 ص 620 ، ومختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي مادة عقد ص 444 .والفائق في غريب الحديث ل جار الله الزمخشري ج3 ص 10. القاموس المحيط ج1 ص327 . والصحاح للجوهري ج2 ص510 .
24) انظر العقيدة في الله للدكتور عمر سليمان الأشقر ص 9 .
25) منبعا الأخلاق والدين ،لهنري برجسون ص 164 - 165.
26) انظر منبعا الأخلاق ، ص176.
27) سورة الزخرف، آية:23.
28) رواه البخاري . كتاب التفسير(سورة الروم) باب لا تبديل لخلق الله فتح الباري
ج 8 ص 512 .
29) رواه البخاري . كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فتح الباري
ج5 ص 301 .
30) سورة الأحزاب آية 21 .
31) انظر منبعا الأخلاق،ص70.
32) منبعا الأخلاق،ص256.
33) سورة الحج، آية:75.
34) سورة الزخرف، آية:31- 32.
35) منبعا الأخلاق، ص267.
36) سورة الشورى، آية:51.
37) سفر التكوين فقرة 1- 5 ص 12 .
38) فقرة 1- 4 ص 157 .
39) الإصحاح الثالث فقرة 1- 4 ص 5 .
40) منبعا الأخلاق، ص272.
41) سورة الأنعام، آية:38
42) انظر منبعا الأخلاق، 155 ، 162 ، 194 .

43) منبعا الأخلاق ، ص214 .
44) سورة الأنعام، آية:172 – 173 .
45) سورة النساء، آية:36 .
46) سورة الأنعام ، آية:151 .
47) سورة الزمر ، آية:65 .
48) سورة النساء ، آية:48.
49) منبعا الأخلاق ، ص201 .
50) سورة التوبة ، آية:116 .
51) سورة البقرة ، آية:164 .
52) سورة الأعراف ، آية:54 .
53) منبعا الأخلاق، ص341 .
54) سورة الأنبياء، آية:47 .
55) سورة المائدة، آية:36 – 37 .
56) سورة فصلت، آية:40.
57) سورة آل عمران، آية:185 .
58) سورة النساء، آية:87 .
59) انظر منبعا الأخلاق ، ص 142 – 143 .
60) منبعا الأخلاق،ص150.
61) انظر منبعا الأخلاق،ص 147 .
62) منبعا الأخلاق،ص147 .
63) منبعا الأخلاق ص 279- 280 .
64) سورة يس، آية:78 - 83 .
65) سورة فصلت، آية:39 .
66) سورة آل عمران، آية:198 .
67) سورة التغابن ، آية:10 .
68) رواه البخاري ، كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة . فتح الباري ج 6 ص 318
69) رواه البخاري ، كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار . فتح الباري ج11ص 417 .
70) رواه البخاري كتاب التفسير باب يوم ينفخ في الصور ... فتح الباري ج 8 ص 689 .
71) لسان العرب ج 1 صفحة 196 .
72) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج1 صفحة 127 .
73) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ل إسماعيل بن حماد الجوهري ج 6 صفحة 2223 .
74) انظر الصحاح ج6 صفحة 2224 .
75) انظر مثلاً لسان العرب ج1 صفحة 197 مادة أله .والمعجم الوسيط مادة أله ج1 ص25.
76) انظر لتفصيل معنى الإله ، المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة للدكتور إبراهيم محمد البريكان ص121- 122 .

77) منبعا الأخلاق،ص177 .
78) منبعا الأخلاق، ص213 .
79) منبعا الأخلاق، ص207 وانظر، ص211 .
80) انظر منبعا الأخلاق ص 197 و 203 .
81) انظر منبعا الأخلاق، ص213 .
82) انظر منبعا الأخلاق، ص214 .
83) انظر منبعا الأخلاق، ص191 ، 193، 250 ، 279 .
84) انظر منبعا الأخلاق، ص206 .
85) منبعا الأخلاق، ص200 .
86) انظر منبعا الأخلاق، ص256 .
87) انظر منبعا الأخلاق، ص256 .
88) انظر منبعا الأخلاق، ص341 .
89) منبعا الأخلاق، ص207 .
90) منبعا الأخلاق، ص202 .
91) منبعا الأخلاق، ص202- 203 وانظر ص 192 .
92) انظر منبعا الأخلاق ص203 .
93) انظر منبعا الأخلاق ص 205 .
94) انظر منبعا الأخلاق، ص206.
95)انظر منبعا الأخلاق، ص201و205.
96) منبعا الأخلاق،ص291 .
97) انظر منبعا الأخلاق ، ص153 و 158- 159 .
98) انظر منبعا الأخلاق، ص191 و 201 .
99) منبعا الأخلاق ، ص257- 258 وانظر ص157 و168 و279 .
100) انظر منبعا الأخلاق، ص134 .
101) منبعا الأخلاق، ص138 .
102) منبعا الأخلاق ، ص133 وانظر ص78 و 188 .
103) انظر منبعا الأخلاق، ص196 .
104) انظر منبعا الأخلاق، ص137 .
105) انظر منبعا الأخلاق ، ص242 .
106) سورة البقرة، آية:255 .
107) سورة الفرقان، آية:58 .
108) سورة الأنعام ، آية:56 .
109) سورة الزمر ، آية:5 .
110) سورة البقرة، آية:244.
111) سورة البقرة، آية:137.
112) سورة الإسراء، آية:110 .
113) سورة الفاتحة، آية:1 .
114) سورة طه، آية:82 .
115) سورة الحشر، آية:23 .
116) سورة ص، آية:35 .
117) سورة الداريات، آية:58 .
118) سورة التحريم ، آية:3 .
119) سورة الشورى ، آية:19 .

120) سورة طه ، آية:111 .
121) سورة الإخلاص ، آية:1- 2 .
122) سورة الحديد ، آية 3 .
123) سورة الحديد ، آية 3 .
124) سورة الحديد ، آية 3 .
125) سورة الحديد ، آية:3 .
126) سورة الأعراف ، آية:180 .
127) انظر فتح الباري ج8 ص667 .
128) سورة هود آية 43 .
129) سورة هود ، آية:53 - 56 .
130) سورة هود ، آية:61 – 62 .
131) سورة الأنبياء ، آية:51 – 68 .
132) سورة الأعراف ، آية:138 .
133) سورة طه ، آية:87 - 91 .
134) سورة طه ، آية:97 - 98 .
135) سورة المائدة ، آية:116 .
136) سورة التوبة ، آية:30 .
137) سورة المائدة ، آية:73 .
138) سورة يونس ، آية:98 .
139) سورة هود ، آية:81 - 83 .
140) سورة الصافات ، آية:123 - 128 .
141) سورة المائدة ، آية:78 – 79 .
142) سورة هود ، آية: 87 – 90 .
143) سورة القصص ، آية:36 – 40 .
144) سورة النجم ، آية:19 - 25.
145) سورة الزمر، آية:2 - 3 .
146) سورة الزمر، آية:4 .
147) سورة الأنعام، آية:100 - 102 .
148) سورة الفرقان ، آية:43 -44 .
149) سورة الذاريات، آية:56 .
150) سورة الروم، آية:46 .
151) سورة الروم، آية:48 .
152) سورة الروم، آية:50 .
153) سورة المؤمنون ، آية:12- 14.
154) سورة الطور، آية:35 .
155) بعض أبحاثهم جمعت في كتاب(الله يتجلى في عصر العلم) فارجع إليه.
156) كتاب الثقافة الإسلامية المستوى الأول لجامعة أم القرى وجامعة الطائف لمجموعة مؤلفين ص 32
157) سورة هود، آية:84 – 85 .
158) سورة الشعراء ، آية:160- 166 .
159) سورة النور، آية:2 .

160) سورة المائدة ، آية 38 .

قائمة المراجع

1- القرآن الكريم .
كتب السنة.
2- البخاري، محمد بن إسماعيل, صحيح البخاري (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وإشراف الشيخ محب الدين الخطيب المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة 1380 هـ .

المراجع العامة.

3- الأحياء (كتاب الأحياء) المقرر للصف الثاني الثانوي الفصل الدراسي الأول ، لمدارس المملكة العربية السعودية طبعة 1429- 1430 هـ .

4- بروتوكولات حكماء صهيون (الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون) ترجمة محمد خليفة التونسي ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة، 1980 م .

5- التوراة السامرية ترجمة الكاهن السامري : أبو الحسن إسحاق الصوري مطبعة دار البيان القاهرة ، الطبعة الأولى، 1978 = 1398 هـ .

6- التوراة العبرية، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، دون تحديد السنة، أو مكان الطباعة، أو سنة الطباعة، أو اسم المطبعة.

7- عبد الرحمن حبنكة، والشيخ محمد الغزالي: الثقافة الإسلامية،

8- الخطـر اليهـودي ، بروتوكـولات حكمـاء صـهيون ، ترجمـة محمـد خليفـة التونـسي، الناشـر دار الكتـاب العربـي بيـروت لبنـان ، الطبعـة الخامسة 1400هـ =1980 م.

9- الـصحاح تـاج اللغـة وصـحاح العربيـة لإسـماعيل بـن حمـاد الجـوهري، تحقيـق أحمـد عبـد الغفـور عطـار ، الطبعـة الثانيـة ، دار العلم للملايين بيروت 1399= 1979 م.

10- الطاقـة الروحيـة لهنـري برجـسون ، ترجمـة د/سـامي الـدروبي، الطبعـة الثانيـة، 1963م ، دار الفكـر العربـي دون تحديـد مكان الطباعة .

11- الطاقـة الروحيـة لهنـري برجـسون ، ترجمـة د/ علـي مقلـد ، طبعـة المؤسـسة الجامعيـة للدراسـات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى 1411هـ = 1991 م .

12- العقيدة في الله للدكتور عمر سليمان الأشقر ، الطبعة الخامسة يونيو 1984 م مكتبة الفلاح الكويت ، دون تحديد اسم المطبعة .

13- الفائق في غريب الحديث لجار الله محمود بن عمر الزمخشري ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان ، دون ذكر سنة الطباعة .

14- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الناشر المطبعة السلفية ومكتبتها ، أشرف على مقابلة نسخه المطبوعة والمخطوطة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ، دون ذكر مكان الطباعة وسنة الطباعة .

15- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، طبعة شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، سنة الطباعة 1371=1953 م نشر دار الجيل بيروت .
16- قصة الفلسفة الحديثة لأحمد أمين و زكي نجيب محمود ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعة 1368هـ = 1949م ، دون ذكر مكان الطباعة .
17- الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، وقد تُرجم من اللغات الأصلية، الناشر دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، دون تحديد سنة الطباعة، أو مكان الطباعة، أو أي طبعة هي ؟.
18- كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني طبعة دار القلم دمشق ، الطبعة الأولى 1405 هـ = 1985 م .
19- لسان العرب لابن منظور ،طبع ونشر وتوزيع دار الحديث ، القاهرة 1423=2003 م دون ذكر المطبعة ، وأي طبعة هي .
20- مختار الصحاح ل محمد بن أبي بكر الرازي ، الطبعة الأولى 1967م ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان ، دون ذكر اسم المطبعة.
21- المدخل إلى ميتافيزيقيا لهنري برجسون ترجمة الدكتور محمد علي أبو ريان ، الطبعة الثالثة 1974م ، دار الجامعات المصرية بالإسكندرية.
22- المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة ، للدكتور إبراهيم محمد البريكان ، الطبعة السادسة 1423 = 2003م دار ابن عفان للنشر والتوزيع القاهرة ، دون تحديد اسم المطبعة .
23- مذاهب فكرية معاصرة للشيخ محمد قطب طبعة دار الشروق، الطبعة الأولى 1403هـ = 1983 م.
24- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، نشر دار الكتب العلمية اسماعيليان نجفي ، إيران قم خيابان إرم ، دون ذكر اسم المطبعة وسنة الطباعة وأي طبعة هي .
25- المعجم الوسيط لمجموعة مؤلفين ، إشراف عبد السلام هارون ، المكتبة العلمية طهران دون تحديد سنة الطباعة .

26- مع الفيلسوف، للدكتور محمد ثابت الفندي، نشر دار النهضة العربية بيروت 1980م، دون ذكر اسم المطبعة ، وأي طبعة هي ؟

27- منبعا الأخلاق والدين لهنري برجسون، ترجمة د/ سامي الدروبي و د/ عبد الله عبد الدائم ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، طبعة 1971م دون تحديد مكان الطباعة واسم المطبعة .

28- الموسوعة العربية العالمية ، الناشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية 1419هـ = 1999م .

29- الموسوعة العربية الميسرة ، لمجموعة مؤلفين بإشراف محمد شفيق غربال طبعة دار الشعب ، القاهرة ، صورة لطبعة 1965 م .

30- موسوعة الفلسفة للدكتور عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى 1984 م، بيروت .

31- نوابغ الفكر الغربي 3 برجسون، للدكتور زكريا إبراهيم ، دار المعارف ، دون تحديد السنة أو مكان الطباعة أو اسم المطبعة .

المراجع غير العربية

1- Challaye Bergson Paris Editons Mellotte Collection Les nouvelle edition 1947 .

2- CF. La Gazette de Lausonne du 29 Ceptembar 1941 Une lettre de M me Henri Bergson.

Cf.R.Berthelot un Pragmatisme Utilitaire. H. Bergson-3 Paris1946

3- Energie Spirituelle: H-Bergson, Paris Editons Mellotte-4 Collection Les nouvelle edition 1949.

4- Evolution Create : H . Bergson , Paris Edition 1947-5

5- H. Bergson: Essai sur Les Donnees Immediates le-6 Conscience .
Raissa Maritain: Henri Bergson Souvenirs, in Bergson-7 Neuchatal .

_